وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي افلو
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية بعنوان

مدخل لعلم الاجتماع

المستوى: السنة الاولى
التخصص: علوم اجتماعية
السداسي: الأول

إعداد الدكتور:

☜ : دناقة أحمد

☜ الرتبة: أستاذ محاضر (أ)

السنة الجامعية:
2022/2021

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمـة.....	03
المحور الأول: مفاهيم عامة	
أولا: مفهوم العلم.....	04
ثانيا: أنواع المعرفة أشكالها.....	04
المحور الثاني: ما هو علم الاجتماع الغرض من دراسته ومتى ظهر	
أولا: تاريخ علم الاجتماع من الفكر الاجتماعي الى علم مستقل بذاته.....	14
ثانيا: مفهوم علم الاجتماع.....	20
ثالثا: لماذا ندرس علم الاجتماع.....	21
رابعا: متى ظهر علم الاجتماع.....	22
المحور الثالث: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع	
أولا: مفهوم المجتمع.....	23
ثانيا: مفهوم الرقابة الاجتماعية.....	23
ثالثا: مفهوم الانحراف.....	24
رابعا: مفهوم الثقافة.....	24
المحور الرابع: مجالات علم الاجتماع وعلاقته بالعلوم الأخرى	
أولا: مجالات علم الاجتماع.....	25
ثانيا: علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى.....	27
المحور الخامس: رواد علم الاجتماع وأهم نظرياته الكبرى	
أولا: مفهوم النظرية في علم الاجتماع.....	28
ثانيا: ابن خلدون نظريته ومنهجه.....	29
ثالثا: المدرسة الوضعية وأهم روادها.....	36
رابعا: المدرسة الوظيفية أهم روادها.....	40
خامسا: مدخل الصراع الاجتماعي.....	20
سادسا: الماركسية المحدثة.....	49
المحور السادس: المقاربات الحديثة والمنظرون الجدد للنظرية السوسيولوجية	52

أولا: بيار بورديو.....	61
ثانيا:انتوني غيدنز.....	64
ثالثا:ألان تورين.....	66
ثانيا: التفاعلية الرمزية.....	68
ثالثا: مدرسة شيكاغو.....	69
رابعا: المنظور الاثنوميثودولوجي.....	71
المحور السابع: منهجية المعرفة السوسيولوجية	
أولا: مناهج علم الاجتماع.....	73
ثانيا: خصائص الملكة السوسيولوجية.....	75
ثالثا: تقنيات البحث السوسيولوجي.....	79
المحور الثامن: علم الاجتماع والممارسة السوسيولوجية في الجامعة الجزائرية	
أولا: واقع الممارسة السوسيولوجية في الجامعة الجزائرية.....	94
خاتمة.....	98
المراجع.....	99

مقدمة:

الشأن الاجتماعي موجود منذ وجود الإنسان ومع ذلك لم يظهر علم الاجتماع كتخصص معرفي مستقل بذاته يتهم بهذا الشأن إلا مع نهاية القرن 19، إذ حاول الرواد أن يقوموا بتعريف هذا العلم كل حسب توجهه من خلال –على الأقل– تأليف كتاب يدعي تعريف لهذا العلم، ولعل من بين أهم الأعمال في تقاليد التأليف لتعريف هذا الفرع العلمي نجد كتاب: "**بنية العمل الاجتماعي**" الذي كتبه "**تالكوت بارسونز**" في عام 1937[1]، هذا المؤلف الذي هدف من خلاله إلى الاعتراف بالثلاثي المكون من (دوركايم، وفيبر، وباريتو) الذي حاول الجمع بينهم. كما كتب "**جورج كاتلن**" كتاب: "**قواعد المنهج السوسيولوجي**" في عام 1938 الذي دافع من خلاله على أهمية "**دوركايم**" هذا الأخير الذي يرجع له الدور الكبير في إرساء معالم هذا العلم إذ أسس مجلة سماها "**السنة السوسيولوجية**" أجاب دوركايم عن أول وأوضح الأسئلة التي يجب أن يطرحها أي دارس للواقع الاجتماعي يقوم ببحث ميداني: كيف يمكن لأفراد أن يعتقدوا في مجموعة خاصة من القيم دون الاعتقاد في قيم أخرى؟ وكيف يمكن لأشخاص ذوي خلفيات متشابهة أن يميلوا إلى الاعتقاد في مجموعة القيم نفسها أكثر من أشخاص ذوي خلفيات مختلفة عنهم؟.

من خلال إجابته يعلن "**دوركايم**" من خلال كتابه: "**قواعد المنهج في علم الاجتماع**" الذي ألفه عام 1901 ويعرض من خلاله افتراضاته الأساسية ويسعى للإجابة عليها.

والآن أنتجت وراكمت السوسيولوجيا بعد تأسيسها كما هائلا من المعارف. إذ ولدت نتيجة انقلاب، هو الانتقال إلى مجتمع جديد. قد حصل هذا الانقلاب من منطلق ثلاث ثورات: ثورة سياسية تمثلت في الثورة الفرنسية، ثورة اقتصادية تمثلت في الثورة الصناعية، ثورة فكرية تمثلت في انتصار العقلانية والعلم والفلسفة الوضعية.

---

(1) ايمانويل فارلشتاين، **تراث علم الاجتماع ووعد العلوم الاجتماعية**، ترجمة: محمود الذوادي، مجلة إضافات، العدد 04/03، 2008.

المحور الأول: مفاهيم عامة

أولا: مفهوم العلم:

يعرِّف العلم في قاموس القرن العشرين للغة الإنجليزية بوصفه: «المعرفة المنسقة التي تنشأ من الملاحظة والدراسة والتجريب، والتي تتم بهدف تحديد طبيعة وأصول الظاهرة التي تخضع للملاحظة والدراسة[1]».

ثانيا: أنواع المعرفة وأشكالها

بصورة عامة، فإن **مفهوم المعرفة** عادة ما يشير إلى معنيين متداخلين ومتكاملين هما:

1) الفعل العقلي الذي يدرك الظواهر الموضوعية «عملية انعكاس الظواهر في الوعي».

2) نتيجة ذلك الفعل، أي حصول صورة الشيء في الذهن.

إن العملية المعرفية عملية معقدة ، وهي تتعلق أساسا بطرفين اثنين هما : العارف والمعروف المدرك والمدرك (بكسر الراء وفتحها). وهي على صلة وثيقة وعلاقة مباشرة أو غير مباشرة "**بالوعي والواقع**": هذان الطرفان يمثلان وجها الميدالية المعرفية وظهرها ، ويخضعان لجدلية الوحدة والتمايز، أي أن كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به في نفس الوقت .

ويمكن الإشارة إلى أن هناك ثلاث أنواع من المعرفة هي: المعرفة بالخبرة، المعرفة الفلسفية المعرفة العلمية.

I. **المعرفة بالخبرة**: وهي تعرف كذلك بالمعرفة الحسية، وتحدث بحكم العادة أو الإدراك الحسي العادي حيث لا تتعدى حدوده دون الولوج إلى فهم الظواهر سواء بربطها بغيرها، أو التعمق في بحث أسبابها ونتائجها. كمعرفة الإنسان العادي بتعاقب الليل والنهار، وأنه إذا ألقى بأي جسم من اعلي سقط باتجاه الأرض..الخ.

ويبتعد هذا النوع من المعرفة عن خصائص الموضوعية العلمية، وتعتمد على ما يتمتع به الفرد من فطنة وبداهة لذلك فهي اقرب إلى الانطباعية منها إلى الموضوعية، وعادة ما تتخذ

---

[1] عبد الباسط محمد حسن: **أصول البحث الاجتماعي**، الطبعة الحادية عشر، مكتبة وهبة، القاهرة، 1990، ص19.

شكلا من أشكال التعصب، وتميل بالفرد إلى أن يلجأ إلى تفسيرات غيبية أو خرافية، أو غير منطقية يبرر بها ما يعتقده من أفكار مما يجعلها مليئة بالتناقضات لأن كل نوع من أنواع المعرفة بالخبرة ينبثق عن خبرة معينة هي قطعا تختلف عن الأخرى[1].

II. **المعرفة الفلسفية**: لقد تجاوزت المعرفة الفلسفية حدود الواقع والعالم الطبيعي حتى أصبح يقال أن الفلسفة هي أسمى مراحل المعرفة، بارتفاعها للبحث فيما بعد الطبيعة، والاهتمام بالوجود كله: علله ومبادئه الأولى، وطبيعة الكون، ووجود الله، وخلود النفس، والحياة والموت. وتهتم الفلسفة بالتأمل في الأسباب البعيدة التي تتعدى ما يقع تحت النظر، وتسمعه الأذن، وتلمسها اليد لتبتعد عن الواقع المادي.

وهي لا تهتم بالجزئيات بل تحاول البحث عن المبادئ العقلية للوجود، وتفسير الأشياء في ضوء عللها، ومبادئها الأولى، ولذا كان التعميم الفلسفي هو أوسع درجات التعميم، باعتباره يعبر عن المبادئ العليا التي تخضع لها الأشياء، وقد يعتمد الفيلسوف على منهج الاستنباط فيستخرج الجزئيات من العموميات، والنتائج من المبادئ.

وقد يصل الأمر بالفلسفة إلى حد البرهنة على قيمة المنطق ذاته، وقيمة العقل ذاته وهي أمور قد تبدو بديهية للعلم. ومثاله عند الفلاسفة القدماء في البحث حول قيمة اليقين والشك وعند فلاسفة العصور الحديثة إلى البحث في قيمة المعرفة.

وتختلف المعرفة الفلسفية عن المعرفة العلمية من حيث المنهج وأسلوب التفكير، فالفيلسوف لا يبدأ كالباحث العلمي من حيث انتهى الآخرون، بل يتخذ لنفسه نقطة بدأ جديدة في التفكير فيضع جانبا ما تردد قبله من معارف فلسفية ليبدأ في تجربة جديدة بطريقة ذاتية أو شخصية بحتة فعلى سبيل المثال: لقد شكك ديكارت في كل ما سبق من معارف وطرح جانبا مختلف الأفكار والنظريات التي سبقته[2].

---

(1) حسين عبد الحميد احمد رشوان، **نظرية المعرفة والمجتمع "دراسة في علم الاجتماع المعرفة"**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008، ص5-6

(2) نفس المرجع ، ص8-9.

وتتميز الفلسفة بمقدرتها على التساؤل عن مكونات الفكر، منطق التاريخ ومفاصل السلطة ومن اجل ذلك تحتاج إلى نوع من الانسجام أو النسقية في برهنتها، إذ أن الفلسفة لا يمكنها أن تنتج نصا فلسفيا كليا بدون السقوط في الانغلاق النسقي.

إذ يقول "ماكس هوركايمر"Max horkheimer : «إن أستاذنا في الفلسفة علمنا انه لكي يصبح المرء فيلسوفا فانه من الضروري أن يعرف العلوم الطبيعية، و أن يكون له دراية بشيء من الفن والموسيقى والتأليف [1]».

فالفلسفة بقدر ما يتعين عليها استلهام العلوم الأخرى والاستفادة من الفن والتعبيرات الجمالية المختلفة، بقدر ما يلزمها نقد كل نوع ميتافيزيقي يفصل الفكر عن صياغه الذي يعيش فيه وينتزع الإنسان من واقعه ويذهب **هربرت ماركيوز** (H Marcuse)، بعيدا عندما يعتبر: « أن النشاط الفلسفي هو النشاط الإنساني الذي تتكون فيه الفلسفة لان النشاط الفلسفي بالمعنى الجدي للكلمة هو نمط من الوجود الإنساني باعتبار أن هذا الوجود بكل أنماطه يوضع من زاوية سؤال له معنى[2]».

III. المعرفة العلمية:

تعتبر المعرفة العلمية فرعا من فروع المعرفة، وهي مشروطة بالمبادرة الذاتية ومحكومة بالقوانين الفيزيائية الطبيعية والقيم الأخلاقية على حد سواء، كما أن المعرفة في عمقها قيمة يضفي عليها الإنسان لمسته من خلال ممارستها.

يقول عنها "**جورج غورفيتش**" «إنها نوع معرفي ينزع إلى التجرد والانفتاح والتراكم والانتظام والتوازن ولا وصل بين المدركي والتجريبي، أنها تنطلق من أطر علمية هي في جوهرها حصيلة نتائج سابقة غالبا ما تدعو إلى تحقق اختياري» [3].

---

(1) محمد نور الدين افاية، **الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة**، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 1998، ص20.

(2) Marcuse H ; **Philosophie et Révolution**, Paris ; Ed, Denoël, 1969. P.121.

(3) جورج غورفيدش، **الأطر الاجتماعية للمعرفة**، ترجمة : خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1981، ص10.

تتجه المعرفة العلمية للعالم الطبيعي كموضوع وتعتبره موضوع أو واقع له خصائص مميزة، انه مبادرات فكرية ونشاطات عقلية وطريقة للوصول إلى الحقائق الموضوعية العامة، فالمعرفة العلمية تتميز بتطبيق معايير ممنهجة، وتستقل تماما عن التحيز الشخصي والتدخلات العاطفية والوجدانية، والمصلحة الشخصية وتقوم بتقديم تفسيرات محدودة ودقيقة للموضوعات والعمليات والعلاقات التي تقع في عالم الظواهر الطبيعية بصفة خاصة.

ويستخدم الباحث قواعد المنهج العلمي في التعريف عن الأشياء والكشف عن الظواهر واستخدام الملاحظة المنظمة للظواهر، وصياغة الفروض و إجراء التجارب وجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها، وذلك من أجل الكشف عن القوانين والنظريات التي تحكم الظواهر ويصبح بالتالي هدف العلم هو الوصول إلى النظرية[1].

يقول "باشلار": «العلم لا يخرج من الجهل كما يخرج النور من الظلام لأن الجهل ليس له بنية بل يخرج من التصحيحات المستمرة للبناء المعرفي السابق، حتى أن بنية العلم هي إدراك أخطائه والحقيقة العلمية هي تصحيح تاريخي لخطأ طويل، والاختبار هو تصحيح الوهم الأولي المشترك»[2].

ومن خصائص العلم أنه:

1. **امبريقي**: يستبعد التأمل والخيال والتصورات المجردة والمعرفة الذاتية، وهو يتخذ من الواقع موضوعا لبحثه ودراسته ويتم في إطار هذا الواقع نفسه، ويستند إلى الملاحظة والاستقراء وتحري العلل.
2. **العلم نظري**: يستند إلى النظريات ويعتمد على الفروض التي تكون في البداية غير محققة بالفعل لأنها لو كانت محققة لما جرى البحث حولها وبالتالي عندما يتم التحقق من الفروض واثبات صحتها قد ترقى لتصبح نظرية.

---

(1) نفس المرجع السابق، ص11-12.

(2) غاستون باشلار، **الفكر العلمي الجديد**، ترجمة: عادل العوا، مراجعة عبد الله عبد الدايم، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، 1969، ص93.

وتعتبر النظرية مجموعة من القضايا والقوانين المتسقة والمرتبطة فيما بينها ارتباطا منطقيا على نحو يمكنها من تفسير أو توضيح العلاقات السببية وهي كذلك مجردة وهذا بالرغم من أن العلم يتخذ من عالم الواقع موضوعا له، وبالرغم من أن المعرفة العلمية تدور أساسا حول ملاحظات امبريقية إلا أنها تصاغ بالضرورة في شكل قضايا مجردة تتيح إمكانية التنبؤ.

3. **التراكمية**: النظريات العلمية يبنى بعضها فوق بعض، بحيث أن النظريات الجديدة كثيرا مما تصحح وتوسع، أو تدعم أو تعزز أو تعدل، أو تدحض. ويوجد خلاف جوهري بين فلاسفة العلم حول هذه المسألة إذ هناك من يؤمن بالتطور الثوري للعلم (النظرية الثورية)* وهناك من يعتبر تطور العلم عبارة عن تراكمات معرفية، ومن ابرز رواد هذا الاتجاه عالم الفيزياء والفزيولوجيا والنفس: "ارنست ماخ" E.Mach (1883-1916)[1]

4. **العلم ذو طابع تطبيقي**: فهو ليس بمعزل عن الحياة من خلال سعيه إلى حل المشكلات وتفسير الظواهر أو الكشف عن قوانينها والتنبؤ بمستقبلها.

5. **الموضوعية**: يسعى العلم إلى اكتشاف ومعرفة وتفسير الظواهر والأشياء كما هي موجودة ولا دخل لأهواء الباحث الشخصية أو ميولا ته أو معتقداته أو عواطفه والتي قد تؤثر على ملاحظات الباحث العلمية، فالمعرفة العلمية تتسم بالحيادية النسبية.

6. **الطابع المنطقي**: يحمل العلم طابع المنطق الذي هو علم قوانين الفكر ومن خلاله يستطيع الباحث أن يقوم بعمليات الاستدلال.

7. **استخدام المنهج العلمي**: تتميز المعرفة العلمية باستخدام المناهج العلمية للبحث باستخدام الاستقراء الذي يبدأ بمعرفة ما هو خاص وجزئي وينتهي إلى ما هو عام، إذن

---

* النظرية الثورية تؤمن بأن تقدم العلم يتم وفق سلسلة من الثورات التي قد تحدث بدون رابطة داخلية ولعل اشد فلاسفة العلم حريصا على التقدم الثوري للعلم هو: (غاستون باشلار)، إذ يرى أن الخطأ أساسي وأولي هو الذي يضل مسيطرا على العقل البشري ما لم يعمل هذا العقل على إزاحته عن مواقعه واحدا بعد الأخر بجهد وكفاح، وصراع لا يتوقف، فكل حقيقة لابد أن تكتسب بنوع من النضال والانتصار، وكل معرفة لا بد أن تحارب لكي تحتل موقع الجهل.وعليه فالتقدم في العلم حسبه يكون من خلال الصراع بين القديم والجديد ولا يتحقق إلا من خلال التطهير الشاق لهذه الأخطاء.

[1] يمنى طريف الخولي، **مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلها**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1996، ص25.

فهو يتوصل بالاستقراء إلى تعميمات ويتحقق من صدقها باختبارها أو تطبيقها على حالات جزئية[1].

ولعل ما يقصد اليوم بمصطلح العلم يختلف عما قصده الأوائل فاليوم أصبحنا نتحدث عن (أكاديمية العلوم)، وعن تقدم العلوم والثقافة العلمية وتطبيقات العلم في مجال التكنولوجيا: «كالفيزياء والرياضيات، وعلوم الطبيعة والحياة...» وما حاول السير على منهاجها من سائر المعارف:« كعلم الاجتماع، وعلم النفس وعلم التاريخ...الخ». وقد برز هذا المعنى الجديد متأخرا بعدما كان يرتبط ذكر هذا المصطلح مباشرة بالفلسفة.

فنجد أن "**اغوست كونت**"، كان واضحا عندما بين أن الفكر الإنساني قد مر بثلاث مراحل: «مرحلة التفكير اللاهوتي، ومرحلة التفكير الميتافيزيقي، ومرحلة التفكير الوضعي»، وهذه المرحلة الأخيرة هي التي تمثل نضج الفكر عند الإنسان الذي أصبح ينشد الدقة والفائدة. والوضعية ترادف عند كونت العلم كما يتجلى في: «علم الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة..» وانطلاقا من اقتناعه بضرورة المعرفة العلمية كما نفهمها اليوم وضع "**كونت**" علما جديدا هو: «**الفيزياء الاجتماعية أو علم الاجتماع**» . وأكد على ضرورة إتباع علمه الجديد للأساليب العلمية المستخدمة في الفيزياء الرياضية[2].

ويعتبر "**هابرماس**" بنظرته النقدية أن المعلومات وحدها هي التي تتماثل مع معايير نتائج العلوم التجريبية وبالتالي يحق لها أن تصلح كمعرفة بالمعنى الصارم...ومع كل تقدم علمي تخسر تصورات العالم العائدة إلى فجر الإنسانية، كما تخسر الرؤى الدينية والتفسيرات الفلسفية تربتها. وتتراجع التفسيرات التي تمكن من توجهات الفعل وتصوغ المعايير، فبالقدر الذي يتنامى فيه معنى السببية، يتناقص فضاء ملكة الأخلاق[3]. فيمكن للنظرية العلمية حسب **هابرماس**: أن تنتج معرفة تفيد تقنيا ولكنها ليست معيارية كما أنها ليست موجهة للفعل: «فالعلم يؤسس مسار

---

(1) نفس المرجع ، ص16-18.

(2) عبد القادر بشتة، **الابستمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1990، ص12.

(3) يورغن هابرماس، **المعرفة والمصلحة**، تر: حسن صقر، مراجعة: إبراهيم الحيدري، منشورات الجمل،كولونيا، ط1،2001، ص318.

الطبيعة لكنه لا يستطيع إطلاقا أن يصدر الأمر إلى الإنسان. الميل، الحب، الرغبة، عدم الرغبة، التمرد الوهم. كل هذه الأمور لا يعرفها العلم، وما يعيشه الإنسان ويختبره، عليه أن يفسره من صميم شيء ما، وان يقدره حق قدره من خلال ذلك»[1].

يصنف إحسان محمد الحسن المعرفة في أربعة أنماط سنوجزها في التالي[2] :

- **المعرفة الحسية** : وتعرف بما تعنية اللفظة من معنى ،بمعنى تكوين الأفكار حول الموضوع لأو العنصر المراد إكتشافه عن طريق الحواس والخبرة الذاتية و تأتي من المصادفة أو عن طريق المحاولة و الخطأ ،ويتميز هذا النوع من المعرفة بالسطحية نظرا لإعتماده على الملاحظة السطحية و الحواس إلا أنها تبقى من أولى المعارف التي طبقها الإنسان من أجل تفسير و تعليل الظواهر . وتتكون المعرفة الحسية بين الناس عن طريق الإنتشار وتجمع في شكل قالب يعرف بالحس المشتركLe sens commun وبعبارة أخرى عرفت المعرفة الحسية لدى الرجل البدائي و الذي إستعمل حواسه الخمس فهي :"تقتصر على مجرد ملاحظة بسيطة تقف عند مستوى الإدراك الحسي العادي دون أن تتجه إلى إيجاد الصلات أو تسعى إلى إدراك العلاقات القائمة بين الظواهر "[3]
- **المعرفة النقلية**: و هي التي تعتمد بالأخذ بالموروث وإقتباسماكتبه أهل الثقة في المجتمعات ،وفي كل المجالات ،حتى و لو كان ما كتبوه خاطئا أو فيه جانبا من اللامعقولية ،وتبقى المعرفة النقلية كواقع في كل المجتمعات و خصوصا إذا توافرت شروط إجتماعية كغياب النقد و الموضوعية ،ووجود ظاهرة التقليد و التي هي نقيض التجديد ،بما في ذلك عدم إمتلاك او التحكم في مناهج و أدوات النقد و البحث العلميين ،كما يمكن تفسير شيوع المعرفةالنقلية في المجتمع بأنها دلالة على وجود إنحطاط فكري و إجتماعي.

---

(1) نفس المرجع، ص 318.

2 إحسان محمد الحسن ،**الأسس العلمية لمنهج البحث الإجتماعي** ،ط3،بيروت ،دار الطليعة ،1994،ص ص 14،7.

3 ليفي بريل ،**فلسفة أوغست كومت** ،نقلا عن عبد الباسط محمود الحسن ،**أصول ابحث الإجتماعي** ،الطبعة الخامسة ،القاهرة ،دار غريب ،1976 ،ص21.

- **المعرفة الفلسفية:** وتبدا من خلال إدراك الإنسان لواقعة و محيطه الذي يعيش فيهمن خلال عملية الشك ،ونقد الموروث ،حيث تعتمد هاته المعرفة على التأمل و الحوار العقلاني ،من خلال تصور ذهني عقلاني مقابل وجود حسي ،ليكون العقل و الوعاء الذي يحوي هاته العلاقة أي مابين وجود حسي و تأملات فيه .
- **المعرفة العلمية:** لقد كان للمعرفة العلمية الدور الحاسم في تغيير ملامح الوجود البشري ،بل لقدكانت العلامة الفارقة في وجود الإنسان العلمي الذي عمل تغيير جميع مظاهر الحياة الإجتماعية و الثقافية والبشرية ، وذلك لما كان لمنهجه الفضل الأوفر لذلك ، و"تأثيرات العلم متعددة و متباينة منها الفكرية من خلال تبديد المعتقدات التقليدية وتبني سواها ،وتأثيرات التقنية في الصناعة و الحروب ،وتغييرات في الحياة السياسية ...إذا فلقد منحتنا المعرفة العلمية مفهوما بديلا عن موقع البشر في الكون"[1]. ولقد ميز "كونانت" بين نوعين من العلم كأحد المحاولات المسافة في تعريفه من خلال إفتراض بوجود نوعين من العلم أولا العلم الإستاتيكي و ثانيهما العلم الذيناميكي ،فالأول هو جملة المعارف المتوصل إليها من مبادئ وقوانين ونظريات متوصل إليها ،أما التعريف الثاني للعلم فهو عبارة عن السلسلة المتشابكة من المفاهيم و الحقائق التي تتطور ذائما من خلال البحوث و الدراسات"[2] .وبهذا فالعلم الديناميكي هو سيرورة داخلية في العلم تتجسد على شكل المنهج العلمي ،وطريقة المساءلة و النقد الذي يقوم به المشتغل بالعلم من أجل الوصول إلى تعزيز النظريات العلمية بغية الوصول بها إلى مرحلة القوانين ،و على هذا الأساس يمكن إعتبار أن علاقة العلم في جانبيه الإستاتيكي و الديناميكي هي عملية جدلية تكاملية.

[1].برتراند راسل ،أثر العلم في المجتمع ،ترجمة :صباح صديق الملوجي،الطبعة الأولى ،بيروت لبنان ،مركز دراسات الوحدة العربية ،2008 ص ص19،20

[2]. علي عبد المعطي محمد ،ومحمد السرياقوسي ،**أساليب البحث العلمي** ،الطبعة الأولى ،الكويت ،مكتبة الفلاح ،1988،ص ص30،31.

➢ **تعريف البحث العلمي**: هو مجمل العمليات و السيرورات تهدف الى الكشف بالوصف و التفسير و الفهم لظاهرة ما ونوجز مجمل التعريفات كالتالي[1] :

تعريف وتني بانه استقصاء دقيق يهدف الى اكتشاف حقائق و قواعد عامة يمكن التحقق منها

اما عن تريف بولنسكي فيقول انه استقصاء دقيق يهدفالى اكتشاف حقائق و قواعد عامة يمكن التحقق منها.

ويعرف باكلي البحث في قوله استقصاء منظم يهدف الى اضافة معارف يمكن توصيلها و التحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي.

اما فيما يخص البحث السوسيولوجي: إذا كان يدرس علم الإجتماع عنه أنه يعنى بدراسة الظواهر الإجتماعية دراسة علمية من جهة ،و من جهة أخرى ،يحاول فهم الفعل الإنساني وتأويله داخل بنية مجتمع ما ،من خلال رصد مختلف الدلالات و المعاني و المقاصد،والتي يعبر عنها الفرد داخل جماعته فإن ما يمكن أن نقول في هذا بأن هذا العلم قد إشترط على نفسه أولا بأن يأخذ صفة العلمية منذ بداية تكونه كعلم ،فدراسة الظاهرة الإجتماعية ،لابد من أن تكون لها منهجية بحث خاصة بها ،وفهم السلوك الإنساني وتأويله له من العمليات البحثية والتي يمكن فهمها و لا تأويلها نظرا لتعقدها و تعدد أوجهها لن يقوم أي علم في تفسيرها إلا علم الإجتماع و لو إجتمعت علوما أخرى إلا في سبيل إعتبارها علوما مكملة كعلم النفس و الأنثروبولوجيا وكمثال على ذلك عن تبيان ماهية البحث السوسيولوجي ندرج منهجية أحد الرواد الأوائل في هذا المجال ألا وهو إيميل دوركايم من خلال الإشارة إلى نقطتان بارزتاين.

أ/الحديث عن منهج البحث هو حديث عن علم الإجتماع برمته : وذلك ما عبر عنه دوركا يم خلال إعتبار منهج علم الإجتماع يعمل على تحديد هوية علم الإجتماع حيث يقول:" ...وبإختصار تتميز طريقتنا من غيرها من مذاهب الفلسفة ،فلما كان علم الإجتماع وليد بعض

[1].علي عمر عبد المومن ،البحث في العلوم الإجتماعية ،الوجيز في الأساسيات و المناهج و التقنيات ،ليبيا الطبعة الأولى 2008، ،منشورات جامعة 07أكتوبر ص ص 75،76

المذاهب الفلسفية الكبرى فقط إحتفظ بعادة الاعتماد على بعض المذاهب التي كان بطبيعة الحال جزءا متمما لها "[1]. حيث تنم القراءة المتأنية لمقولات إيميل دوركايم رغبته الملح في التأصيل العلمي لعلم الإجتماع من خلال التركيز على نقطة في غاية الدقة وذلك من أجل بلورة منهج بحث خاص بعلم الإجتماع .

ب/ قانون السببية الجانب الحاسم في منهج علم الإجتماع :حيث يقول في هذا الصدد يقول دوركايم:"وهو أولى إشارة إلى منهج علم الإجتماع ،فليس الإعتماد على السببية هي حل الإشكال الإجتماعي،بل كما تم الإعتمادعنها في المبادئ الفلسفية كالإستنتاج والتطورات في العلوم الطبيعية ، ولم لا علم الإجتماع... "[2].

الآن وفي هذه النقطة بالذات لا يدعو دوركايم إلى الإعتماد على السببية كأحد ملامح المنهج السوسيولوجي وفقط بل ما يود قوله هنا ،انه لا عيب في ان نعتمد على اسقاط بعض المبادئ للبرهنة على الحقائق ، استنادا لمبادئ في علوم اخرى ،ومرد ذلك أن المبادئ الأولية كالسببية هي عناصر للعلم في حد ذاته و ليست حكرا على أي علم.

ج/ خاصية الصور الإجتماعية التي تأخذها الظواهر الإجتماعية الغير مرئية لايفسرها الا منهج بحث خاص وهو علم الإجتماع :

يرى دوركايم أن الدور الحاسم لعلم الإجتماع و يستحق أخذ مكانته المحترمة بين العلوم ،أن يأتي بالجديد بين العلوم التي ولدت من رحم الفلسفة خصوصا ،إذا جديده هو البرهنة على الوقائع المجردة ،وهنا لابد من منهج يكشف المستور و أين إختفت مكنونات وأسرار الظواهر في مكان هو أمام أعين العلوم ،لكن لن نستطيع رؤيته ،وهو دور العلم وأي علم أنه علم الإجتماع بمنهجه الفريد و المتفرد ،إذن فلقد إختفت الحقائق في ثنايا سلوكنا اليومي و الإعتيادي ،ليكون من المستحيل كشفها بالتفلسف ،وإنما من خلال تطبيق المنهج في علم الإجتماع وفي هذا

[1].أيميل دوركايم :قواعد المنهج في علم الإجتماع ،ترجمة :محمود قاسم ،1988،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،ط1،ص ص 275،277.
[2].إيميل دوركايم :المصدر نفسه ،ص ص278.

الصدد يقول:" ولكن إذا نظرنا إلى هذه الظواهر الإجتماعية على أنها أشياء إجتماعية ،وهذه هي الخاصية الثالثة التي كانت طريقتنا طريقة إجتماعية لا غير "[1].

المحور الثاني: ما هو علم الاجتماع، لماذا ندرسه، متى ظهر ؟

أولا: تـــــاريخ علم الإحتمـــــاع من الفكر الاحتماعي الى علم الاحتماع

انه لمن الأكيد ارتباط التفكير في مسائل الاحتماع البشري مع وحود هذا الأخير، و الحديث عن نشاة و تطور علم الاحتماع يحيلنا بالضرورة الى بالبحث في تاريخ الفكر الاحتماعي عبر مراحل و هي:

المرحلة التمهيدية : وسنتناول اهم مظاهر التفكير الاحتماعي في الحضارات القديمة ومنها :

الحضارات القديمة : من المعروف ان المحتمعات التاريخية القديمة عرفت تقدما حضاريا على الرغم من بداياتها البدائية التي قامت على الترحال و البداوة لتعرف مرحلة الاستقرار و التنظيم لتخلف اثارا مادية و ثقافية و احتماعية ملموسة ،كما عملت على تكوين ارث سياسي هدف لتنظيم شؤونها وطريقة إدارة حكمها.

الحضارة الفرعونية : ان المتامل في نمط النظام السياسي السائد في المرحلة الفرعونية كان طبقيا بامتياز قمته طبقة الفراعنة ،فلم يكونوا محرد حكام وملوك و فقط بل سدوا صورة الالهة في شخصياتهم ،لتلتقي في أيديهم السلطات الدنوية و الاخروية ، لتلي طبقة الفراعنة طبقة أخرى الا وهي طبقة الكهنة و دورهم اسباغ القداسة و الاحترام للفراعنة ، و في طبقة ثالثة وهي الحيش و هم حلاس الأماكن المقدسة ، و في طبقة أخيرة طبقة الحرفيين ،أما عن الأفكار الاحتماعية فهي لم تكن محلة باسم شخص معين . أنما كانت مدونة على حدران المعابد و اهم الأفكار في هذا السياق ما وحد مكتوبا في كتاب الموتى و نوحز اهم الأفكار الاحتماعية فيه و هي :

- احترام الاسرة ،وأهمية تأسيسها على الثقة و الصبر و التعاون و التسامح .

[1] .إيميل دوركايم :مصدر سبق ذكره ، ص ص281.

- التعاون بين النساءو الرحال ، و الرفق بالمراة
- العدل في الحكم ،و عدم الاعتداء على ممتلكات الاخرين ،و عدم الغش في المعاملات
- المحافظة على البيئة ،ونظافة مياه النهر ، والتزام اداب السلوك.

الحضارة الصينية: تقاسم الفكر الاحتماعي القديم عدة تيارات على سبيل المثال لا الحصر الكونفوشيوسية، نسبة الى مؤسسها كونفوشيوس وهناك 3 نقاط رئيسية تؤطر فكره: أولا، الروح العملية؛ ثانيا، الإعلاء من شأن الأخلاق؛ وثالثا، إرساء تقاليد تقدير التجربة التاريخية.

يؤمن كونفوشيوس بضرورة بذل الإنسان كل مافي وسعه للوصول إلى أعلى المراتب. حيث يقول "إذا تعلّمت فلا تقْنع، وإذا علّمت فلا تكلْ". وفي حديثه عن حياته يقول :" انهمكت في العمل (الدراسة) حتى نسيت الطعام، وفي السعادة حتى نسيت الخوف، ودون أن أشعر وجدت العمر قد جرى بي." ويقول أيضا "كم سيء ان تكتفي بملء البطن دون أن تفعل شيئا مفيدا في يومك". فروح العمل والإنجاز تبدو جلية في كامل أركان البنية الفكرية لكونفوشيوس.

لقد كان كونفوشيوس مُنظّرا سياسا بارعا، وينبني فكره السياسي على ثلاثة نقاط رئيسية: أولا، الحُكم وفقا للأخلاق؛ ثانيا، مركزية السلطة؛ ثالثا، معارضة الإستبداد الفردي وإحتكار الوزراء للسلطة. حيث يولي كونفوشيوس أهمية كبيرة لدور الأخلاق في السياسة، ويطالب الحاكم بأن يعطي القدوة الأخلاقية للناس، حيث يقول في هذا الجانب: "السياسة هي الإستقامة، فإذا كان الحاكم مستقيما، هل سيجرؤ المحكوم على ألا يستقيم؟".

الفكر الاجتماعي في الهند القديمة:

ترك الهنود القدامى فكرا اجتماعيا خصبا وان كان يختلف في ملامحه العامة عن الفكر الاجتماعي الصيني، ، ومن الطبيعي ان ينعكس هذا التنوع العرقي على المعتقدات الدينية التي سادت المجتمع الهندي منذ فترة بعيدة كالهندوسية والبوذية والبراهمية والاسلام والمسيحية ولقد تعايشت هذه المعتقدات داخل المجتمع الهندي منذ فترة بعيدة مما انعكس بالتالي على انتاج الفكر الاجتماعي الهندي .

تكونت طبقة دينية قوية هي طبقة البراهما حيث كانت تمارس مجموعة من الطقوس والشعائر ارسي دعائمها رجال الدين ينتمون الى مذهب البراهما ، ومع تطور افكار هذا المذهب الديني تطور نظام الطوائف الذي يقوم على فكرة انتماء الافراد لجماعات مهنية محددة يصعب عليها الانتقال منها، ويظل الفرد طيلة حياته منتميا الى الطائفة التي ولد فيها، وهكذا شكل المنتمون الى مذهب البراهما وعلى راسهم رجال الدين طائفة متميزة ثم تشكلت بعد ذلك طائفة من المحاربين اطلق عليها اسم الكشتارية وفي المرتبة الثالثة تاتي طائفة الفايزا وهي تتألف من الحرفيين والفلاحين والمنتجين.

ولقد صاغ مفكرو طائفة البراهما فكرة الانسان المتفوق ، ذلك لان افراد هذه الطائفة هم متفوقون في اطارالتركيب الاجتماعي الهندي ، بل انهم قد ذهبوا الى ان الافراد الذين يشكلون طائفة البراهما هم " الهه بشرية " ولا شك ان رجال الدين المنتمين الى طائفة البراهما قد روجوا كثيرا لهذه الفكرة الطبقية التي تؤكد ارتفاع مكانة طائفة البراهما ، ويميز مفكرو طائفة البراهما بين مراحل معينة يمر بها الانسان : هناك اولاً: المرحلة التي تعلم فيها الطفل اصول التربية وهناك بعد ذلك المرحلة التي يتولى فيها تكوين الاسرة ورعاية الاطفال ، ثم هناك مرحلة ثالثة هي مرحلة التقاعد ، وهناك اخيرا المرحلة الرابعة التي يمارس فيها الفرد الوحدة والعزلة ، وفي اطار فكر فلاسفة طائفة البراهما نجد تأكيدا لمبدا وفكرة تناسخ او انتقال الارواح ، فارواح النباتات والحيوانات والانسان مرتبطة فيما بينها كما ان روح الانسان بعد وفاته تتحول وتنتقل من مكان الى اخر ، انها تبحث عن الاستيعاب والمكان الملائم في ظل عالم الارواح ، وتستطيع الارواح ان تحقق اهدافها وتولد من جديد لانها باقية على الدوام .

الفكر الاجتماعي عند اليونان[1] : فلاطون نموذجا :

يعد أفلاطون (428 .347) أهم تلاميذ سقراط وأشهرهم, وأكثر الفلاسفة تأثيراً في الفكر الفلسفي قديمة ووسيط وحديثه

[1] ينظر: زايد أحمد ماعلم الاجتماع،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر، ص ص35،34.

لقد كان "أفلاطون" مدرسة فلسفية متكاملة, ومازالت الأفكار التى قدمها موضع اهتمام الباحثين ف مختلف فروع المعرفة, ولن نتمكن من عرض كل أفكار أفلاطون في هذا الحيز الضيق, وإنما سنتناول في إيجاز أبرز أفكار أفلاطون ذات الصبغة الاجتماعية.

وضع أفلاطون مؤلفات كثيرة من أشهرها ثلاث : " الجمهورية , والقوانين , والسياسي" وكان كتاب الجمهورية من أوائل , كتب, وقد تصور فيه وجود مدينة فاضلة تقوم علي الفضيلة, وتظللها العدالة, وتشرف عليها حكومة من الفلاسفة أو الحكماء, وقد وضع أفلاطون تصوراً لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع, متأثراً في ذلك بحالة عدم الاستقرار والاضطراب التي شهدتها المدن اليونانية.

ويمكن توضيح أهم أراء أفلاطون حول المدينة الفاضلة فيما يلي:

1. تصور أفلاطون للنفس وتقسيمه لها:

يري أفلاطون أن النفس كانت موجودة في عالم المثل قبل اتصالها بالبدن, فالنفس التى تولد في هده الدنيا تأتى من عالم آخر كانت قد ذهبت إليه بعد موت سابق، وأن الأحياء يبعثون من الأموات، ويعني ذلك أن الجسد يموت, لكن النفس لا تموت، فقد كانت قبل الولادة، وستبقى بعد الموت.

وقد قسم "أفلاطون" النفس إلي ثلاث قوي، لكل منها فضيلة تميزها:

1) القوة العاقلة ومكانها الرأس، وفضيلتها الحكمة.

2) القوة الغاضبة ومكانها القلب، وفضيلتها الشجاعة.

3) القوة الشهوانية ومكانها البطن, وفضيلتها العفة والصبر.

ويوجد نوع من التوازن بين هذه القوي الثلاث من أجل تحقيق فضيلة اجتماعية أكبر، وهي فضيلة العدالة، التى ينبغي أن تسود المدينة الفاضلة.

2. التقسيم الطبقي للمدينة الفاضلة:

يقسم أفلاطون المدينة الفاضلة إلى ثلاث طبقات, بناءً على تقسيمه للقوى النفسية, وذلك على النحو التالي:

- ✓ 1طبقة الحكام التى تتسم بوضوح القوة العاقلة وفضيلة الحكمة.
- ✓ 2طبقة الجنود التى تتسم بوضوح القوة الغاضبة وفضيلة الشجاعة.
- ✓ 3طبقة العمال التى تتسم بوضوح القوة الشهوانية وفضيلة العفة.

ويري أفلاطون أن للدولة وظائف ثلاثة ترتبط بهذا التقسيم: الإدارة ويقوم بها الحكام, الدفاع والحماية ويقوم بها الجنود، الإنتاج ويقوم بها العمال، وكل طبقة مؤهلة للقيام بوظائفها ارتباطاً بالقوة النفسية لديها، وكذلك عن طريق عمليات التربية التى تتم لطبقتي الحكام والجنود، ويعتقد أفلاطون بضرورة حدوث توازن اجتماعي بين هذه الطبقات من أجل المحافظة على استقرار المجتمع وتطوره في كافة المجالات.

3. تحليل أفلاطون للتعليم:

اهتم أفلاطون بالتعليم اهتماماً كبيراً، حيث اعتبره الوسيلة الإيجابية التى تؤدي إلى إيجاد دولة متجانسة, فالدولة في نظره تعد مؤسسة تربوية، وإذا صلح تعليم المواطنين استطاعوا أن يحلوا مشكلاتهم, ويواجهوا الشدائد, وإذا كانت الفضيلة هي المعرفة, فلا بد من تعلمها, وإذا سلمنا بأهمية التعليم ترتب علي ذلك بالضرورة ألا تترك الدولة شئونه للأفراد بل عليها أن توفر بنفسها الوسائل اللازمة لتحقيق نظام تعليمي سليم.وقد أكد أفلاطون على ضرورة وجود نظام تعليمي إجباري خاضع للدولة.

الأفكار الاجتماعية في العصور الوسطى الأوروبية:

إن أهم مسألة شغلت مفكري العصور الوسطى هي مسألة علاقة العقل بالدين أو العلم بالأيمان .فاختلفت الاجابة عليها باختلاف الشروط التاريخية و الاجتماعية. الا ان الأيديولوجية الرسمية للكنيسة هي التي كانت وحدها السائدة . و التي تقول بإخضاع العقل العلم للدين. بمعنى

انه حتى المعرفة العلمية تستمد من الدين أو تنسجم مع تعاليمه و لا تتعارض معه .و نحت ستار وحدة العلم و الايمان تم اخضاع عالم الفكر كله لتعاليم الكنيسة. و أصبحت محاكم التفتيش الأداة الرهيبة في وجه علماء الطبيعة و المفكرين الاجتماعيين و السياسيين و الاقتصاديين الين حاولوا طرح افكار لا تنسجم مع تعاليم الكنيسة.

استطاعت المعارضة التي أبدتها الطبقات و الفئات المضطهدة أن تحث بعض التبدلات في الايديولوجيا السائدة و ان تصوغ ايديولوجيا معارضة و مستقلة و ان كانت قد ارتدت طابعا دينيا . فاعترتها الكنيسة هرطقة تستحق العقاب . و على سبيل المثال كان محتوى الايديولوجيا المعرضة التصوفية يقوم على القول بان هناك علاقة مباشرة بين الآلهة و الانسان يتم بلوغهاfالرؤية الحسية المباشرة للإله و بمعنى غير مباشر ان " جميع البشر متساوون. "

و مع صعود الطبقة البورجوازية في أواخر القرون الوسطى تراجعت التراتبية الكنسية و الاقطاعية و برزت المعارضة . فمن خلال اطار التصوف الذي اكد على المساواة و في اطار الاشكال الخرى للتجديد الديني نمت الأفكار و النظرات الفلسفية و الاجتماعية الملائمة للبورجوازية و عامة الشعب.

القديس أوغسطين[1]:

ظهر في فترة انهيار الإمبراطورية الرومانية عندما اشتد الصراع بين روما الوثنية وروما المسيحية. اشتغل كأستاذ للبلاغة و اهتدى الى المسيحية بعد شباب مضطرب كرس نفسه بعده للدفاع عن الدين . استفاد الوثنيون الرومان من حادث نهب روما و عزوا مسؤولية الكارثة الى المسيحيين ، فتولى سان أوغسطين الدفاع عن المسيحية و تحول من مدافع عن الدين الى مفكر اجتماعي سياسي . يعد كتابه "مدينه الله" من اهم كتب فلسفة التاريخ ، و بفضل هذا الكتاب أصبح أحد مؤسسي هذا النسق المعرفي الذي يبحث في مسار المجتمعات البشرية و أهدافها و قوانينها العامة.

[1] ينظر:غاستون بوتول:تاريخ السوسيولوجيا،ترجمة ممدوح حقي،منشوررات عويدات،لبنان.1977.ص ص24،22

و تقوم العقيدة الدينية السياسية للقديس أوغسطين على اساس التمييز بين الحاضرتين اللتين تقتسمان الانسانية : " حبان أقاما حاضرتين ، حب الذات أقام الحاضرة الرضية و حب الله أقام الحاضرة السماوية" ، و اضافة أوغسطين ان الحاضرتين تعيشان أبدا جنبا الى جنب منذ نشأة الزمان.

و تجدر الإشارة الى ان التناقض بين الحاضرتين المبنيتين على المبادئ المتناقضة . فالاوغسطيون يجعلون الحاضرة الارضية " حاضرة الشيطان " ، و يحاول أوغسطين ان يخفف من هذا التناقض بقوله : ان الله وحده يعرف أي حاضرة ينتمي اليها فعلا كل انسان ، كما أن حاضرة الله ليست خاصة بالأتقياء و الحاضرة الأرضية ليست كلها سيئة ، و ان الفرق بين الحاضرتين هو فرق جوهري.

تقوم فلسفة التاريخ على ان التاريخ العالمي هو عملية اقتراب تدريجي مستمر للدول الدنيوية من قوانين مدينه الله . و هاتان المدينتان تقتربان تدريجيا الى ان تتم وحدة الدين و السلطة الزمنية في نهاية التاريخ حيث تحقق غاية الحياة و معنى التاريخ.

يتبين ان النظام الاجتماعي في القرون الوسطى كان مبجلا دينيا و مبررا تاريخيا . و يصبح العالم مسارا اجتماعيا – دينيا هادفا الى تحقيق غرض او غاية رسمتها العناية الالهية المتمثلة في الحصول عل الخلاص و الاقتراب من الله . اذن التاريخ الانساني بكل ما فيه من ويلات هو تاريخ الخلاص و السرور الالهي . و اعتمدت الكنيسة على فلسفة التاريخ عند أوغسطين، فاذا كان هذا هو معنى التاريخ فكل النشاطات الدنيوية و العلمية يجب أن تخضع للغرض الديني الأسمى للإيمان.

ثانيا: مفهوم علم الاجتماع

تختلف وجهات النظر حول تعريف علم الاجتماع وموضوعه من عالم لأخر لذا يصعب العثور على تعريف دقيق وجامع لعلم الاجتماع. لأن التعريف يتعدد بتعدد الزوايا والمنطلقات النظرية وكذا المناهج والأغراض. البعض يرى أن علم الاجتماع يركز على دراسة التنظيمات

الاجتماعية أو البناء الاجتماعي. والبعض الآخر يرون أن علم الاجتماع يركز على دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية والأفعال أو النظم الاجتماعية.

إن علم الاجتماع كما أشار إليه "**بيتر بيرجر**" هو شكل خاص من أشكال الوعي والإدراك الكاملين. إذ يساعدنا على تحليل وتفسير خصائص البيئة الاجتماعية بطريقة عميقة وواضحة، وكذلك يتيح لنا المجال للنظر إلى العالم الكبير من خلال نافذة نرى منها العالم الذي يقع خارج خبراتنا المباشرة للتعرف على مناطق من المجتمع ربما تجاهلناها أو أخطأنا فهمها. فعلم الاجتماع يعرفنا عوالم الغنى والفقر والقوة والضعف، وسكان الأحياء الشعبية ومدمني المخدرات، والمجرمين والمتدينين، كما يعرفنا أيضا احترام وجهات نظر الآخرين أكثر من وجهات نظرنا، والعمليات التي تقودنا إلى فهم أنفسنا واتجاهاتنا وحياتنا[1].

وعموما يمكن القول أن علم الاجتماع هو الدراسة العلمية أو البحث العلمي للظاهرة أو الظواهر الاجتماعية وبمقدار ما تكون الظاهرة موضوعا Objet منفصلا عن الأشخاص المشتركين بها[2]. إذن نستنتج أن علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للعلاقات التي تقوم بين الناس(الفاعلين) ولما يترتب عن هذه العلاقات من أثار[3]. كما يقوم بمهمة وصف المجتمع وسير عمله بمنتهى الأمانة. وكذا الانشغال بفهم خصائص الاجتماعي.

ثانيا: لماذا ندرس علم الاجتماع؟

لعل الهدف من دراسة هذا الفرع العلمي يختلف حسب هدف الدارس ومن فترة زمنية إلى أخرى ومن شخص لأخر ومن اتجاه فكري إلى أخر، ولعل أهم الأسباب التي تجعلنا ندرس هذا العلم تتمثل في ما يلي:

- يحصل الطالب على صورة واضحة عن مجتمعه؛

---

(1) فهمي سليم الغزوي وآخرون، **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1992، ص17.
(2) ف ج رايت، **مبادئ علم الاجتماع**، ترجمة: محمد شيا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997، ص3
(3) محمد الجوهري، **المدخل إلى علم الاجتماع**، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، 2007، ص07.

- يمكن الدارس له من الهرب من القيود والضغوط التي يفرضها عليه انتماؤه العرقي أو الطبقي وان ينظر إلى العالم المحيط به نظرة موضوعية.
- التعرف على قيمه في الحياة وأهدافه، عن طريق معرفة العمليات الاجتماعية التي تساهم في تشكيل هذه القيم؛
- فهم أنماط التغير الجارية في العالم المعاصر؛
- يزودنا بالوسائل والأساليب من أجل دراسة وتحليل ظاهرة اجتماعية معينة بهدف التشخيص والعلاج؛
- يؤهل الطالب مستقبلا للانخراط في مجال من مجالات العمل في إحدى المهن التابعة إلى العلوم الاجتماعية كالتدريس أو الإدارة أو التوجيه المدرسي والمهني..الخ.
- يشبع رغبته الخاصة في العلم والبحث عن المعرفة كانسان يسعى إلى توسيع دائرة ثقافته واهتماماته العامة.

ثالثا: متى ظهر علم الاجتماع؟

ترجع بدايات علم الاجتماع كعلم مستقل بذاته إلى منتصف القرن التاسع عشر. إذ ولدت السوسيولوجيا في الفترة 1890-1900 في ثلاث مواطن مختلفة: فرنسا(كونت ودوركايم) وألمانيا(ماكس فيبر، جورج زيمل) والولايات المتحدة الأمريكية (بارسونز، بول لازارفيلد). للتصدي للازمة الاقتصادية والاجتماعية التي طبعت العالم الحديث التي تميز بالتنافر واللاانتظام، من خلال تراكم الدراسات والتحقيقات السوسيولوجية، بروز تقنيات البحث وأساليب جمع المعلومات حول الظواهر الاجتماعية[1].

[1] مصطفى بوجلال، **علم الاجتماع المعاصر بين الاتجاهات والنظريات**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص19.

الشكل رقم 01: يوضح نشأة علم الاجتماع

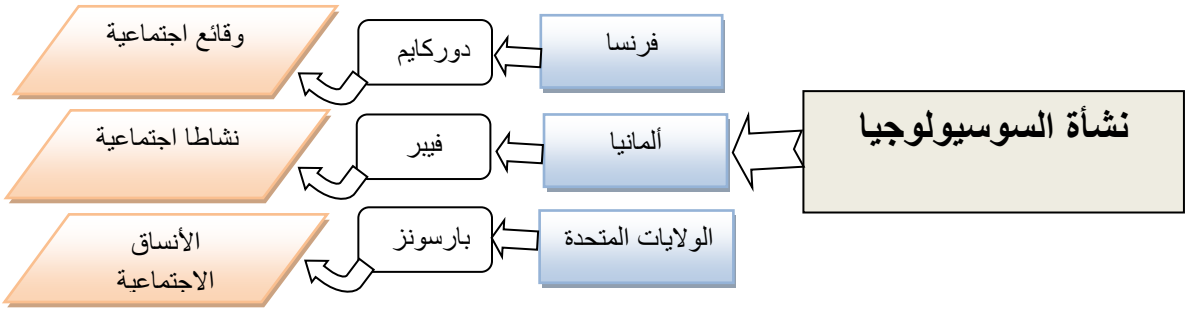

المحور الثالث: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع

أولا: مفهوم المجتمع[1]: يعني المجتمع أن هناك نطاقا اجتماعيا أو حقائق اجتماعية وعلاقاتها المتبادلة حسب "دوركايم"، و هو حسب "بارسونز" نوع من النظام الاجتماعي يتسم بأعلى مستوى من الاكتفاء الذاتي.

كان مفهوم المجتمع محورا يتعلقا بالأفكار الاجتماعية وكيف أن الإنسان يملك حقوقا وواجبات في المواطنة الاجتماعية بحيث يكون الإنسان عضو في مجتمع بعينه ذلك المجتمع ينتظم على شكل دولة وطنية ذات حدود إقليمية ونظام من الحكم قائمة على مفهوم المواطن الذي عليه واجبات يقوم بها، ويحصل أيضا على حقوق من خلال المؤسسات الأساسية للدولة. لكن في الوقت الحالي حصلت تغيرات متسارعة أضعفت قوة المجتمعات على حشد مواطنيها، منها: (التطور التكنولوجي، تطور عالم الاتصالات، ظهور الشركات العابرة للمجتمعات والقارات، تطور المواصلات، تزايد حجم الفيروسات..الخ). وظهر نوع جديد من المجتمعات أعضاؤها غير موجودين في حدود وطنية واحدة منها ما يسمى بالمجتمع الافتراضي.

ثانيا: مفهوم الرقابة الاجتماعية: هذا المفهوم ظهر في أمريكا في العشرينات أساسا ليعبر عن أشكال مواجهة الانحراف وكذا الرقابة على المهاجرين والأقليات الاثنية. وهي عند "دوركايم" الإكراه الذي يمارسه المجتمع على أفراده. وتعتبر جملة الموارد المادية والرمزية التي

[1] جون سكوت، **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2013.

تتوفر لدى مجتمع معين لتأمين توافق تصرفات أعضائه مع جملة القواعد والمبادئ المقررة والمصادق عليها، وتكون بالتالي هي التبعية المتبادلة للعناصر والنظام.

إذا تمرد الفرد عن التوافق لا يعاقب بصفة مطلقة وإنما نسبيا لأنه الفاعل قد ينجو من الرقابة عملا بالمقولة الشعبية "العمل في الخفاء ينجي"، وبالتالي يلجأ الفاعل إلى استعمال هامش الحرية بأن يجعل انحرافه عن القيم والمعايير غير مرئي وبالتالي يخدع مراقبة المجتمع له.

ثالثا: مفهوم الانحراف: يشير إلى السلوكات والتصرفات والتوجهات والمعتقدات التي تكسر قواعد وأعراف وأخلاقيات المجتمع، واختلف مفهوم الانحراف حسب علماء الاجتماع فدوركايم يعتبر أن الانحراف والجريمة أمر طبيعي في المجتمع حيث يرى انه يعمق التضامن ويعزز القيم، وأكد "مرتون" على غياب التناسق بين الثقافة والبناء الاجتماعي، وأكد أصحاب مدرسة شيكاغو أن سببه المناطق غير المنظمة اجتماعيا في المدن.

رابعا: مفهوم الثقافة: منظومة القيم الأساسية للمجتمع[1]. مصطلح واسع وكثير المعاني وهي تعبر عن المجال الاجتماعي الذي يتم فيه إنتاج المعاني المشتركة، يعبر "بارسونز" عن الثقافة بأنها مجال المعاني الرمزية المشتركة ما يجعل التواصل ممكنا وبالتالي المجتمع ممكنا. ويعرفها تايلر بأنها: "ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد والقيم والمعايير والصنائع الفنون وكل من ينتجه الفرد بوصفه عضوا في مجتمع معين".

(1) خليل أحمد خليل، **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**، دار الحداثة للنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص84.

المحور الرابع: مجالات علم الاجتماع وعلاقته بالعلوم الأخرى

أولا: أهم مجالات علم الاجتماع

تتمثل ميادين علم الاجتماع أساسا في دراسة "**الجماعة**" وكذا "**أنماط التفاعل**" التي تحدث بين الجماعات المنظمة في الوجود الإنساني، وان فهم هذا التفاعل لا يمكن إلا من خلال الدراسة العلمية لجوانب الحياة الاجتماعية والتعرف عليها. ويتناول علم الاجتماع أيضا "**العلاقات الاجتماعية**" التي تعتمد أساسا على عملية "**التفاعل الاجتماعي**" والتي تتم بين شخصين أو أكثر. يتناول علم الاجتماع بالدراسة "**السلوك الاجتماعي**" الذي يتضمن تصرفات وأفعال الأفراد ويكونها ويصوغها. وكذا يهتم علم الاجتماع من خلال ميادينه بـ"**الظواهر الاجتماعية**" والتي تعرف بأنها التصرفات الإنسانية التي توجد على درجة معينة من الانتشار في مجتمع معين وفي وقت محدد مثل: (الزواج والطلاق والاحتفال بالأعياد والمناسبات وممارسة الشعائر الدينية...الخ).

وقد حدد "دوركايم" صفات الظواهر الاجتماعية بالنقاط التالية[1]:

- **أنها جمعية**: أي تتصف بأنها خارجة عن شعور الفرد بل يتلقاها من المجتمع الذي ينشأ فيه.
- **أنها إلزامية**: أي أنها تفرض نفسها على شعور الفرد وسلوكه سواء وافق على ذلك أم لم يوافق مثل: (الأخلاق والتراث واللغة والدين..الخ).
- **أنها إنسانية**: أي تنشأ داخل المجتمع الإنساني.
- **أنها تلقائية**: بمعنى يمارسها الأفراد دون تردد لأنها من صنع المجتمع كالمعتقدات الدينية والأخلاقية.
- **أنها مترابطة**: أي ترتبط مع بقية الظواهر الأخرى ومع البيئة الاجتماعية التي ولدت فيها.

---

[1] مليحة عوني القصير، معن خليل عمر، **المدخل إلى علم الاجتماع**، مطبعة جامعة بغداد، العراق، 1981، ص.ص8،7.

وهناك مجالات عدية للدراسة في علم الاجتماع تمخضت عنها مجموعة كبيرة من الفروع نلخصها بإيجاز في ما يلي:

1. **علم الاجتماع التنظيم والعمل:** يدرس سلوك الأفراد داخل المنظمات وكذا المشكلات التي تظهر داخل المؤسسات مثل تغيب العمال تأخر العمال الحوادث المهنية الضغوط المهنية...الخ. وعلاقة هذه المشاكل التي تقع داخل التنظيم بالظروف الاجتماعية التي يعيشها الفرد خارج التنظيم.
2. **علم الاجتماع الاتصال:** يدرس العملية الاتصالية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين.
3. **علم الاجتماع الانحراف والجريمة:** يهدف إلى دراسة العوامل والأسباب الاجتماعية التي تؤدي إلى السلوك المنحرف أو ارتكاب الجريمة.
4. **علم الاجتماع التربوي:** جاء علم الاجتماع التربوي كفرع من فروع علم الاجتماع ليبحث في المؤسسات التربوية المختلفة داخل البناء الاجتماعي العام.و يختص بدراسة الإنسان حينما يدخل في علاقة مع إنسان آخر في إطار تربوي يهدف إلى تكوين الخبرة أو المعرفة أو الثقافة أو التعليم أو التدريب.
5. **علم الاجتماع الخدمة الاجتماعية:** تعمل "الخدمة الاجتماعية" على مساعدة الأفراد ليحققوا الرضا النفسي والاجتماعي مع مساعدتهم للاعتماد على أنفسهم في المستقبل، فهي عموما تهدف إلى تحسين نوعية الحياة الاجتماعية.
6. **علم الاجتماع السكان (الديموغرافيا):** هو العلم الذي يهتم بدراسة السكان دراسة إحصائية تحليلية من حيث تركيبهم (الجنس، العمر)، وتوزيعهم وحجمهم بالإضافة إلى العوامل المتحكمة في نموهم وتغيرهم.

وهناك العديد من الفروع الأخرى لعلم الاجتماع نذكر منها: (علم الاجتماع السياسي، علم الاجتماع العائلي، علم الاجتماع التنمية، علم الاجتماع التغير الاجتماعي، علم

الاجتماع الحضري، علم الاجتماع الريفي، علم الاجتماع الطبي، علم الاجتماع العلوم، علم الاجتماع العسكري، علم الاجتماع الرياضي، علم الاجتماع الفن...الخ).

ثانيا: علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى

1. علاقة علم الاجتماع بعم النفس: يهتم علم النفس بسلوك الفرد من حيث رغباته وانفعالاته وميولاته الشعورية واللاشعورية، أما علم الاجتماع فيهتم بالجماعة وتفاعلات أفرادها في علاقات أفرادها فيما بينهم، ولما كان أصل الجماعة هو الفرد وبالتالي هناك علاقة تقاطعية لان الفرد لديه كيان نفسي واجتماعي في نفس الوقت.

2. علاقة علم الاجتماع بالفلسفة: ظهر علم الاجتماع في بداياته في إطار الفكر الفلسفي، ثم انفصل علم الاجتماع عن الفكر الفلسفي بعد تطوره إلا أنهما يتقاربان في فرع فلسفة العلم، كما أن علم الاجتماع يؤدي إلى تحديد التساؤلات الفلسفية إلى حد كبير.

3. علاقة علم الاجتماع بالاقتصاد: إذا كان الاقتصاد يهتم بدراسة وتكوين الثروة والسوق وتوزيع السلع والخدمات والعرض والطلب والاستهلاك، فان هذه العوامل كلها تتأثر بالجوانب الاجتماعية كالعادات في الاستهلاك وتأثير الجماعة على إنتاج الثروة واثر السلوك الاجتماعي تجاه السوق والسلع والخدمات.

4. علاقة علم الاجتماع بالأنثروبولوجيا (علم الإنسان): يعتبر علم الإنسان وعلم الاجتماع علمان شقيقان. يمتاز علم الإنسان عن علم الاجتماع بتركيزه على دراسة المجتمعات البدائية والمجتمعات ذات الحجم الصغير. بينما يركز علم الاجتماع على دراسة المجتمعات الصناعية الحديثة. وأصبح علماء الاجتماع وعلماء الإنسان يستفيد كل منهما من عمل الآخر.

5. علاقة علم الاجتماع بالخدمة الاجتماعية: يستخدم الأخصائيون الاجتماعيون نتائج الدراسات في علم الاجتماع في عملهم الميداني في تقديم المشورة أو مساعدة الأشخاص المعوقين وكذا التخفيف من حدة بعض المشكلات كالفقر ومساعدة الأسر المفككة والانحراف..الخ. حيث توجد عيادات خاصة بالخدمة الاجتماعية في بعض الدول المتطورة.

6. علم الاجتماع والعلوم الطبيعية:

لا شك أن العدو الأساسي للطبيعة هو الإنسان حيث رغم ما للتقدم في مجال العلوم الطبيعية والتكنولوجيا من فائدة للمجتمع إلا انه أنه بالمقابل أصبح يتهدد البشرية بأخطار كبيرة منها (التلوث، تغيير الخصائص الوراثية، الأسلحة المدمرة..الخ)، ومن شأن علماء الاجتماع التدخل في سير هذه العملية على المستوى الاجتماعي من اجل التقليل من تلك الأخطار.

المحور الخامس: رواد علم الاجتماع واهم النظريات الكبرى

أولا: مفهوم النظرية في علم الاجتماع:

تعتبر النظرية في علم الاجتماع جزءا أساسيا من الحقائق الواقعية في حياتنا اليومية باعتبارها النموذج الذي من خلاله يستهدف تفسير التفاعل في إحدى مجالات الفعل التي يمارسها الإنسان: "(فردا أو جماعات اجتماعية أو مجتمعا) في إطار ظواهر التفاعل الفيزيقي والاجتماعي داخل البيئة الاجتماعية"[1].

يستخدم مفهوم النظرية للتعبير عن التصورات والمفاهيم المجردة والمصاغة في شكل فروض علمية تم التحقق من صحتها في انتظار إعادة تكذيبها.

1- أشكال النظرية

أ- **النظرية المعيارية:** هي جملة من أحكام والقيم المضاعفة على الواقع والتي ترسم منظورها على الوقع الخاص وجملة من المفاهيم التجريدية.

ب-**النظرية العلمية:** وهي تدرس ما هو كائن عبر خطوات المنهج العلمي لتعميق المعرفة.

2- **محتوى النظرية العلمية:** تتشكل من خلال حملة من افتراضات التي تحدد اصطلاحاتها بدقة وتمثل نسقا افتراضيا واستنباطا يبسط تمثل الواقع.

---

[1] طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد المجيد الزيات، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د ت، ص14.

3- **مفهوم النموذج**: هو تمثيل مبسط للعلاقات التي توجد مجموعة من المعطيات وهو يعطي صورة تخطيطية للواقع وينقسم إلى نماذج مادية ونماذج صورية.

4- **علاقة النظرية بالبحث**: للنظرية أهمية كبيرة في البحث لأنها تعتبر إطار تصوري للواقع وتلخيص عن حقائق وما تم التوصل إليه من طرف الباحثين من خلال طرح مفاهيم وقوانين وقضايا وفروق، وأما البحث العلمي فهو يمد النظرية بحقائق جديدة ويتفحص صحتها.

ماذا نقصد بالمدارس في علم الاجتماع؟:

قد يستخدم مفهوم النظرية والمدرسة بمعنى واحد، لكن المدارس أعم وأشمل من النظريات ولكن تبقى النظرية هي التي تؤسس المدرسة، وبالتالي فالمدرسة قد تتضمن اتجاه نظري واحد أو مجموعة من الاتجاهات النظرية.

ثانيا: ابن خلدون:

تعريفه ونظرته للمجتمع 1332-1406: هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أول من نادى بقيام علم جديد للمجتمع أطلق عليه "علم العمران البشري". سبق أوجست كونت الذي يعتبره الغرب أول مؤسس لعلم الاجتماع وذلك بحوالي 5 قرون. أسس علم العمران البشري والذي عرف بعد ذلك بعلم الاجتماع ليتمكن من خلاله من فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية. كما أكد على أهمية البيئة/ و العوامل الاقتصادية / والجغرافية/ في تفسير وفهم الظواهر الاجتماعية. يرى ابن خلدون أن المجتمعات الإنسانية مرت بثلاث أطوار وهي: (النشأة – النضج – الاكتمال – الهرم والشيخوخة حيث يفنى المجتمع.

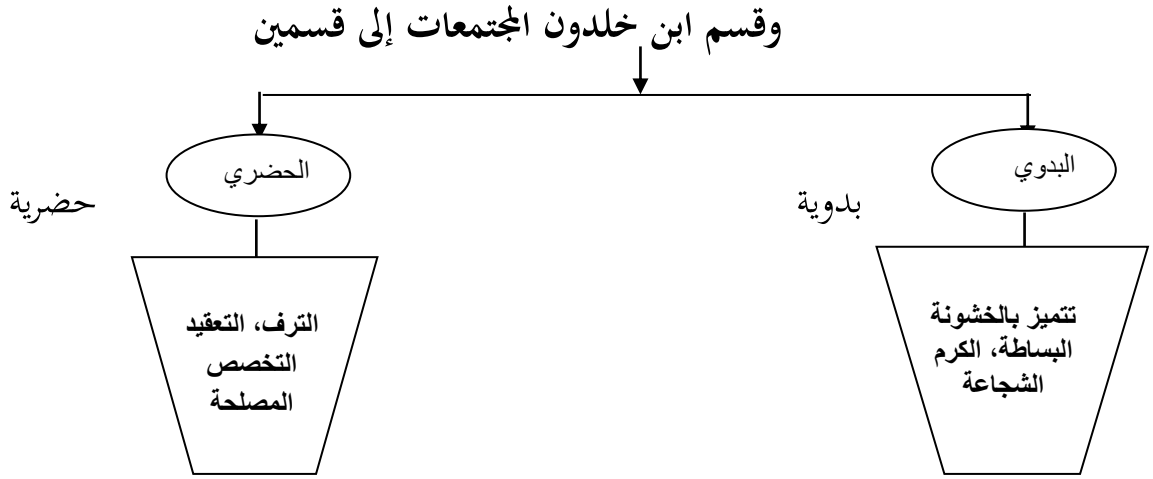

المدرسة الخلدونية[1]: لصاحبها أبي زيد عبد الرحمان محمد ابن خلدون:

لابد من ان نشير الى ان رحلات ابن خلدون و دورها في بلورة رؤاه الفكرية و الاجتماعية وباء الطاعون مثلا[2]. ليكون علم العمران البشري اكتشاف ابن خلدون الابرز: بعد تبيانه لمنهجية نقل و تمحيص الاخبار و مرد ذلك لكثرة الاخطاء و المبالغة في الرواية التاريخية ليكون التمييز و التمحيص هو العامل الذي ادى في نظر ابن خلدون في النظر الى الاجتماع البشري الذي هو العمران ليكون قانونه المفسر المبني على الصحة و البرهان العقلي و المنطقي و الملاحظة المتانية هاهو الان يقول وكأن هذا علم مستقل بذاته، فانه ذو موضوع و هو العمران البشري و الاجتماع الانساني، وذو مسائل، و هي بيان مايلحقه من العوارض و الأحوال لذاته واحدة بعد الأخرى، وهذا شأن كل علم م العلوم وضعيا كان أو عقليا[3] .

وبعد تبيانه للضرورة التمعن في هذا الضرب من العلم الجديد ينتقل اى تحديد اهم ملامحه في نقطة اساسية الاو هي خاصية الاجتماع البشري و ما يلحق بها من عوارض كوجود

---

(1) **أنظر:** مصطفى الشكعة، **الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته**، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط3، 1992.

2

حيث اعتزل عبد الرحمن ابن خلدون الحياة بعد تجارب صعبة منها فقد الاهل و الاساتذة اثر وباء الطاعون سنة 1348م ليتفرغ بعدها في مدة اربعة سنوات في البحث و التنقيب في العلوم الانسانية حتى اعتزل اخر عمره ليكتب سفره او ما عرف بمقدمة ابن خلدون فقد كانت بداية سفرياته عند لحاقه بمن من اساتذته الذين انتقلوا الى تلمسان او فاس كاستاذه الابلي من طلب السلطان ابي عنان الامر الذي حفزه على اللحاق و السفر قصد البقاء من من بقي من اشخاص عرفهم اثناء حياته ليجد في الالتحاق بوظيفة كاتب السر للملك سلطان تونس ابن محمد بن تفراكينلا احد بوادر الامل لتسهل له مراده لتكون نهاية حكم سلطان تونس العامل الحاسم في سفر عبد الرحمن ابن خلدون الى تلمسان عائدا الى بجاية مع السلطان ابا عنان كاحد وبقي هناك تحت رعاية امير بجاية ،كرجل من رجال العلم والمجلس ليرجع الى فاس سة م755 عودة الملك عنان

3 ينظر ناصر الدين الالباني:مقدمة ابن خلدون، ابداع للنشر و التوزيع.2010.

الاختراعات الملبية لحاجات الانسان الضرورية، ثم يشير لاهم مؤشر يدل على خاصية الاجتماع الاو هي ضرورة وجود نظام الحكم وفي هذا الصدد يقول :**لما كان الانسان متميزا عن سائر الحيوانات بخواص اختص بها،فمنها العلوم و الصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات ...و منها الحاجة اللى الحكم الوازع و السلطان القاهر** من خلال ما تقدم يرى ابن خلدون انه اضافة على اجتماعية الانسان يؤكد على العامل الاقتصادي وهو العامل المؤدي الى وجود الاجتماع البشري .حيث يرى بان الاجتماع البشري هو وليد التفكير و الارادة مع دافع الضرورة التي جعلت كل فرد يحتاج الى أفراد آخرين من أبناء جنسه للحصول على إغراضه و سد حاجياته و بالتالي الحفظ على كيانه و بقائه **يقول ابن خلدون لما كان الانسان متميزا على سائر الحيوانات بخواص اختص بها فمنها العلوم و الصنائع و منها الحاجة الى الوازع و السلطان القاهر و** حاجته الى **العمران و هو التساكن و التنازل في مصر او حلة للانس بالعشير و اقتضاء الحاجيات لما في طباعهم من التعاون على المعاش** .

اما عن العوامل التي ادت الى ظهورالعمران البشري بصفة عامة و العوامل التي ادت الى نشاته و ظهور انماط التجمعات وذلك نظرا لدور العامل البيئي و الطبيعي الذي صقل التجمعات البشرية ،من خلال رسم توزيعهم في المناطق و الاقاليم، ودورها في تحديد كثافتهم السكانية ايضا، ونسبة تخلفم و تقدمهم و يقاس كل هذا على مدى قربهم من المناطق المعتدلة حيث يعمل الاعتدال على زيادة عددهم، بصورة اكبر من المناطق الاكثر سخونة و الأكثر برودة .

ظاهرة البداوة و التحضر [1]:

فحيث قسم ابن خلدون المجتمعات البدوية: فهي مرحلة من مراحل الحياة الانسانية ،لابد من ان تسير فيها ميزتها حياة التقشف و البساطة في نظمها و علاقات افرادها، بما في ذلك

[1] بنظر سراج الدين:ابن خلون انجاز فكري متجدد،مكتبة الاسكندرية.2006.

وسائلها ،ديمغرافيا تتميز بانها مجتمعات صغيرة محصورة في اطار القبيلة ،اقتصادها يقوم الصيد و الرعي او الفلاحة ،تهدف الى توفير الضروريات من العيش،عموما انها مجتمعات متخلفة . ويقوم ابن خدون بتوصيف دقيق لها من خلل قوله :و هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح و القيام على الانعام.وهم مقتصرون على الضروري من الاقوات و الملابس و ائر الاحوال و العوائد مقصرون عما فوق ..وقد ذكرنا ان البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم،العاجزون عما فوقه.

وبما ان الحياة البدوية سابقة عن الحياة الحضرية فان سكانها مايزالون على الفطرة ودلك فهم اقرب الى الخير ومرد ذلك عدم تشبعهم بحياة الترف و ارتباطهم بنمط حياة التقشف و عيشهم مقتصر على الضروري من الحياة يالاضافة على سهرهم على المحافظة على النسب و عدم الاختلاط و هي العامل الذي يمنعهم من التفسخ و الانحطاط وابعدهم عن الصفات الذميمة

العمران الحضري أو المجتمعات المتقدمة : وهي المجتمعات التي تأتي بعد المجتمعات البدوية، و ارتقت إلى مرحلة التحضر، بعد حصولها على الضروريات من وسائل العيش، هاهي الآن تهتم باهتمام بالكماليات، و تتقن في إعمالها بالاعتماد على العلوم و الصناعة، تتميز العلاقات الاجتماعية ضمن المجتمعات الحضرية بتعقد العلاقات الاجتماعية و وتشابكها، مما ينجم عنه كثرة المشاكل من جهة، وتتعدد المهام الموكلة للأفراد.أما المتحضرون فهم ذلك النوع البشري الذي يقيم بالأمصار والقرى و المدن. أماكن إقامتهم مرتبطة في الذهنية الخلدونية بالإقامة في المناطق المتحصنة بالأسوار للاعتصام بها و التحصن بجدرانها ونستانس بماذكر ابن خلدون عن هذه المجتماعات **حين يقول :"ثم اتسعت احوال الناس المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى و الرفه...واستكثروا من الأقوات و الملابس والتأنق فيها و توسعة البيوت و اختطاط المدن و الأمصار للتحضر .."**[1].

[1] خضير ادريس : التفكير الاجتماعي الخلدوني و اثره في علم الاجتماع الحديث، موفم للنشر،الجزلئر،2007.ص10.

حيث كان العرب بين البداوة والتحضر كنموذج اتخذه كدليل لاثبات افكاره: يقوم على تقسيم لأنماط العيش الاجتماعي إلى نمطين **"متحضر"و "بدوي"** والعنصر المتفق عليه في الذهنية العربية قبل ابن خلدون ،حيث يدل على عملية سكون وحركة مرتبطة بدورة الطبيعة ونصد هنا عامل المناخ و مناطق الرعي الكلأ ،فالبداوة تعني حالة الخروج إلى البادية في مقابل الحضور و الإقامة جول الماء، لذلك جاء اللسان إن "الحاضرة" هم القوم الذين يحضرون المياه وينزلون عليها في حمراء القيظ(الصيف) فإذا برد الزمان(الشتاء) ظعنوا(رحلوا) عن إعداد المياه وبدوا (توجهوا ناحية البدو) طلبا للقرب من الكلأ (المراعي) الفقوم اذا بادية بعدما كانوا حاضرة" ليبقى تفسير الفرق بين "البدو والحضر" هو التفسير اللغوي ايضا عند فقهاء اللغة العربية وبهذا يوجد اتفاق واجماع حول دلالتي البدو و الحضر في اللغة العربية المتعلقة بحالي السكون و الحركة تبعا لوطن الكلا والماء و المعنى العام الذي يقسم البشر بالجملة الى اهل دول و حضارات و الى جماعات بدوية لا تعيش حياة الدولة.

العصبية ودورها في السياسة :كما اكد ابن خلدون على ان معيار وجود و تكون المجتمع القائم على الفوضى و الذي تجاوز مرحلة البداوة و التي تقوم على الفوضى و الانقسامات إلى التعايش و التعاون و التناغم بين أفراد المجتمع ، والابتعاد عن كل مظاهر المؤدية إلى تصدع البناء الاجتماعين ليكون الحل الأمثل هو وجود وإنشاء سلطة سياسية تفصل بينهم في حالة ظهور الخلافات بينهم، و تعمل على تعزيز السلام و الأمن، فاختار أفراد المجتمع شخصا تتوافر فيه شروط المسؤولية وعلى رأسها قوة الشخصية، وأن يكون له خبرة و تجربة و أيضا لابد من توافر شرط أساسي و ضروري و المتمثل في وجود العصبة حامة و مساندة له في اداء اعماله، ليشير ابن خلدون ان السلطة ستتحول فيما بعد الى سلطة استبدادية، مرد ذلك الى طبيعة الانسان الميال الى الاستبداد و الانانية، و هو العامل الذي يعجل بظهور الانشقاق و الانقسام بين افراد المجتمع.

وتقوم نظرته على الأسس التالية:

- ✓ يرى أن الدراسة الاجتماعية يمكن أن تتخذ من المجتمع ككل حقلا لها، اعتمادا على الميدان وهذا هو توجه علم الاجتماع الحديث.
- ✓ العلم عنده يقوم على الوصف–التفسير–التنبؤ
- ✓ كان يؤمن بقانونية الظاهرة الاجتماعية حيث يعتبر علم الاجتماع مستقل بنفسه وموضوعه وسماه (**العمران البشري**).
- ✓ اعتبر الاجتماع الإنساني ضروري، واعتبر أن الإنسان اجتماعي بطبعه.

اعتبر أن العصبية أساس الملك وأساس الاجتماع الإنساني ويقصد بها شعور الانتماء إلى النسب والقبيلة.

العصبية هي القوة الفطرية الأصيلة التي توقظ غريزة حفظ النفس والتي تولد إحساسا حادا بصلة النسب والعرق والدم، وتدفع الناس لمناصرة بعضهم بعضا وهي القوة الحيوية للتضامن الاجتماعي والشعور بالجماعة الذي يولد شعبا أو أمة أو دولة. مبرزا أهمية السلطة في الحفاظ على الدولة والمجتمع. وأشار أن السلطة تتولد من القوة وهي تتسم بالعصبية .

العصبية تؤدي إلى المنعة، والغلبة تسمو إلى الرياسة، والرياسة تبعث على التطلع إلى الملك، ومن ثمة فان الملك لا يقوم أصلا بغير العصبية ويضل قويا بقوتها ويضعف بضعفها.

منهج ابن خلدون:

اتبع منهج التمحيص والشك في الأخبار التاريخية اعتمادا على العقل، اعتمد كثيرا على المنهج الاستقرائي من خلال أداة الملاحظة.

موضوع علم الاجتماع عنده: ضرورة وجود علم خاص بالعمران البشري، والاجتماع الإنساني و دراسة الظواهر الاجتماعية، وكشف القوانين التي تخضع لها ، سواء في نشأتها أو في تطورها.

وحدة التحليل عنده: عمل ابن خلدون دراسة تحليلية بخصوص المجتمع والعصبية والدولة، ويقول ابن خلدون في هذا: ((اعلم أن العمر للأشخاص على ما زعم الأطباء والمنجمون أربعون سنة. والدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال .والجيل هو عمر شخص واحد من العمر المتوسط. فيكون أربعين هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته))، ويقول ابن خلدون: وأن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال لان الجيل الأول لم يزل على خلق البداوة وخشونتها ووحشها من شظف العيش والبسلة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك صورة العصبية محفوظة فيهم. والجيل الثاني: تحول حلهم من البداوة إلى الحضارة، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة، فتنكسر صورة العصبية بعض الشئ وتؤنس منهم المهانة والخضوع. وأما الجيل الثالث: فينسون عهد البداوة وكأنها لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما فيهم من ملكة القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفننوه من النعيم وغضارة العيش، وتسقط العصبي بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل الخبرة، ويستكثر بالموالي ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء، حتى يأذن الله بانقراضها، فتذهب الدولة بما حملت..

عوامل التغير الاجتماعي عنده: يفترض ابن خلدون أن الاجتماع الإنساني ظاهرة طبيعية منتظمة، لها أسسها و قوانينها، كما يقول بتغير هذه المجتمعات من حالة البداوة للحضر، وبهذا يصنف المجتمعات الإنسانية على أساس التباين في العيش. فالبداوة ترتبط بالاعتماد الكلي على الحيوان كمصدر أساسي للعيش، وبهذا النمط في العيش بناءا" اجتماعي قبلي متنقل، وقيام قيم ومعايير سلوكية أساسها الصلات القرابية، وما تفرزه من عصبية ترابطية. وثم تؤدي الحاجات إلى ضبط العلاقات داخل الجماعة ، وتؤدي إلى ظهور نوع من السلطة، تقوم شرعيتها على تقاليد وأعراف الجماعة ، وقد تمثلت هذه السلطة في سلطة مجالس الكبار وظهور الرياسة ممثلة في شيخ القبيلة، ولا تكون السلطة هنا إلا في إطار العصبية القرابية، ومع التطور دخلت الزراعة

، وبدأت أوجه الاستقرار، وإمكانية الفائض في الإنتاج مما يفسح المجال لتقسيم العمل والتخصص وتنجلي هذه التغيرات بوضوح بدخول الصنائع والتجارة ، الأمر الذي يترتب عليه تحول المجتمع إلى مجتمع حضري ويترتب هذا بظهور الدولة.

تقييم لنظرية ابن خلدون: لاشك أن نظرة ابن خلدون للعصبية ووظيفتها السياسية والاجتماعية كانت مشتقة من بيئته الخاصة، وهي بيئة تميزت بالصلة القوية بين الحياة البدوية بمجتمعها القبلي من جهة وبين الحياة الحضرية بمجتمعها السياسي من جهة أخرى، وهذا ما يفسر انحيازه للبداوة في بعض جوانب تحليلاته عن العصبية.

يبين أبو يعرب المرزوقي أن هناك اعتراضين على منهج ابن خلدون[1]:

- ✓ تعميماته الاستقرائية المتسرعة في بعض الأحيان وتأسيسه على عدد محدود من المجتمعات.
- ✓ انتقاد ابن خلدون المؤرخين والكتاب الذين سبقوه في مناهجهم ثم أعاد استخدام نفس المناهج التي استخدموها تقريبا رغم انه صرح بمنهج التمحيص في بداية الأمر.

ثالثا: المدرسة الوضعية والوظيفية وأهم روادهما

الوضعي: يرادف الحقيقي أو التجريبي، يعتمد التفسير الوضعي على عالم الحس والتجربة، إذ يبتعد الاتجاه الوضعي عن التأمل والخيال ويعتمد على الواقع ويستند إلى ما هو موجود بالفعل[2].

الوضعية(Positive) هي تيار فكري يقوم على القطيعة مع الفكر الفلسفي واللاهوتي أرسى قواعدها اوغست كونت، تهدف إلى دراسة الظواهر الإنسانية دراسة علمية قائمة على ما يجري في الواقع تقوم على التجربة وتعتبر أرضية لنشأة علم الاجتماع، تحاول إقصاء التفسير الديني وتعتبر نفسها هي الدين الجديد.

---

[1] جهاد علي السعايدة، **دراسة تحليلية نقدية للمآخذ على فكر ابن خلدون**، مجلة جامعة دمشق المجلد 30 العدد 3-4، 2014 ص 509

[2] حسين عبد الحميد رشوان، **ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي**، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ط01، 2004، ص190.

يعتبر مؤلفو الوضعية أن علم الاجتماع مثل العلوم الطبيعية لأنهم تأثروا بالعلوم الطبيعية بإدخال أبعاد غير سوسيولوجية في تفسير الواقع الاجتماعي[1].

إن المنهج الوضعي في علم الاجتماع هو الذي:

- يهتم بالوقائع ويرفض الخيال والمفاهيم الدينية والفلسفية في الوقت نفسه يرفض جميع النظريات التي لا تقبل التجريب الايجابي والوضعي الافتراضيين.
- يضع الوقائع (الظواهر) أي يقربها ويقارنها مع بعضها بعضا ولا يهتم بواقعة دون الأخرى.
- توجيه البحث باستخدام الممارسة أي أن نضع من هذا المنهج دليلا للإنسان.

اعتبار الوضعية كدين جديد.

اوغست كونت1798–1857: عالم فرنسي، أول من أطلق أسم علم الاجتماع {sociologie} معنى سوسيولوجية " دراسة المجتمع أو الناس أو السكان دراسة علمية، يرى أن علم الاجتماع يتبع نفس أسلوب العلوم الطبيعية في دراساته ويرى أن الحياة الاجتماعية تحكمها قوانين مثلها مثل الأشياء الطبيعية.

قسم كونت علم الاجتماع إلى قسمين أساسيين هما: الستاتيكا الاجتماعية (دراسة المجتمع في حالة الثبات) والديناميكا الاجتماعية (دراسة المجتمع في حالة التغير والتطور). أن يستخدم الطرق المستخدمة في مناهج العلوم الطبيعية وهي: (الملاحظة – التجريب – المقارنة) بالإضافة إلى المنهج التاريخي.

موضوع علم الاجتماع عنده:لم يحدد كونت موضوعا" لعلم الاجتماع معتبرا" أن الإنسانية هي موضوع علم الاجتماع، وهي الحقيقة الجديرة بالدراسة والبحث.

---

[1] **أنظر أيضا:** فيليب جونز، **النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية**، ترجمة: محمد ياسر الخواجة، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2010.

وحدة التحليل :وان الدراسة الإنسانية كموضوع علم الاجتماع يدرسها كونت في حالتين:

الحالة الأولى: الستاتيكا الاجتماعية: موضوعها هو دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها في فترة معينة من تاريخها وكذلك الاجتماع الإنساني في تفاصيله وجزيئاته وفي نظمه وقواعده السياسية والقضائية والاقتصادية والأخلاقية والدينية ...الخ وفي عناصرها ووظائفها بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم التضامن بين النظم الاجتماعية (فكرة التضامن والنظام).

الحالة الثانية: الديناميكيا الاجتماعية: في هذه الحالة تهتم السوسيولوجيا بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها.أي دراسة الاجتماع الإنساني برمته وانتقاله من حال إلى حال. هذه الحالة تقوم على أساس فكرة التطور والتقدم. تجيء ثمرة لدراسة كونت للديناميكا الاجتماعي الذي رأى فيه: دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية فيتطورها:

أ. **الدور اللاهوتي**: يقصد فيه كونت أن العقل سار على أساس التفسير الديني، فقد كانت الظواهر تفسر بنسبتها إلى قوى مشخصة ابعد ما تكون عن الظاهرة نفسها كالآلهة والأرواح والشياطين وما إلى ذلك كتفسير ظاهرة النمو في النبات بنسبتها إلى الله عز وجل أو إلى أرواح النبات وعدم الأخذ بأسباب النمو الدنيوية.

ب. **الدور الميتافيزيقي** (الفهم التجريدي): في هذا الدور نسب تفسير الظواهر إلى معاني مجردة أو قوى خيالية أو علل أولى لا يمكن إثباتها كتفسير نمو النبات بقوة أرواح النبات.

ج. **الدور الوضعي (العلمي)**: هو أن يذهب العقل في تفسير الظاهرة بنسبتها إلى قوانين تحكمها وأسباب مباشرة تؤثر فيها كتفسير ظاهرة النمو النباتي بالعوامل الطبيعية والكيميائية والقوانين المؤلفة لهذه الظاهرة.

عوامل التغير الاجتماعي: يرى كونت أن قانون الحالات الثلاث هو نفسه القانون الذي يفسر به جميع مظاهر تطور المجتمعات الإنسانية. بل ويطبقه أيضا على الفنون وتطورها وعلى

الحضارة والقانون والسياسة والأخلاق، كما يقول لا يمكن فهم تطور كل هذه الأمور إلا إذا وقفنا على تاريخ التطور العقلي لان هذا التطور في نظره هو المحور الأساسي الذي تدور حوله مظاهر النشاط الاجتماعي.

2- هيربـــــــرت سبنســـــــر [1](1820_1903)

موضوع علم الاجتماع: البحث في نشوء وتطور الوحدات الاجتماعية. وأولها الأسرة، التي ترعى الفرد وتقوم بنشأته، والنظام السياسي الذي ينظم أمور الجماعة، ويضبط العلاقات والأفعال، والنظام الديني ودوره في وضع وتعزيز المعايير والقيم، وغير ذلك من المؤسسات والنظم الاجتماعية.

وحدة التحليل: دراسة عمليات التغير وتطور المجتمعات الإنسانية. وقد تناول تطور المجتمع قياسا بتطور الكائنات الحية(النظرية العضوية)، فالمجتمع الإنساني، كما هو الحال في الكائنات الحية، تتطور من الأشكال البسيطة إلى الأشكال الأكثر تعقيدا، ومن أشكال على درجة متدنية من التباين البنائي وتقسيم العمل، إلى مجتمعات معقدة البناء، تقوم على التخصص، اما الوجه الآخر لعملية التطور فأساسه الصفة والنشاط المميز للمرحلة. رأى سبنسر أن المجتمع في أنساق يتشابه مع كثير من الأنساق البيولوجية بل انه أكثر الرواد الذين شبهوا المجتمع بالأنساق البيولوجية، فالكائنات العضوية والأنساق الاجتماعية في المجتمع هي كائنات متشابهة من حيث قدرتها على النمو والتطور .

إن ازدياد حجم الأنساق الاجتماعية كازدياد الكثافة السكانية – مثلا – سيؤدي إلى ازدياد انقسام المجتمع إلى أنساق أكثر تعقيدا وتمايزا وهذا هو حال الأعضاء البيولوجية أو الكائن الحي. وقد لاحظ سبنسر أن التمايز التدريجي للبنى في كل الأنساق الاجتماعية والبيولوجية يقترن بتمايز تدريجي في الوظيفة.

---

[1] علي الحوات **مبادئ علم الاجتماع** ، ليبيا : منشورات الجامعة المفتوحة ، 1990 ، ص.ص 175- 179.

عوامل التغير الاجتماعي: أكد سبنسر أن أشكال المجتمعات البدائية تتطور بالتدريج إلى الأشكال الأكثر تعقيدا" كما هي موجودة في المجتمعات الصناعية، حيث انه كلما كبر المجتمع في حجمه كبر بقاؤه الاجتماعي وكثرت قوانينه وتعددت مهن أفراده.

رابعا: المدرسة الوظيفية وأهم روادها

تعتبر واحدة من أهم المداخل النظرية الكبرى في علم الاجتماع حيث تعد مرحلة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فترة ازدهار الوظيفية. ترجع جذورها إلى "اوغست كونت" ثم "ايميل دوركايم" و"ماكس فيبر". إلا أن قواعدها الأساسية أرساها في ما بعد "تالكوت بارسونز".

فمفهوم الوظيفة يعتبر من المصطلحات الشائعة في علم الاجتماع، وتستخدم بمعنى الدور الذي يقوم به الفرد في المجتمع، وتستخدم أيضا بمعنى وظيفة الهيئة الاجتماعية، كما تستخدم بمعنى المهنة باعتبارها نوعا من التخصص بهدف الكسب المادي.

الأفكار الأساسية للبنائية الوظيفية[1]:

- ✓ الفرد هو نتاج البنية الاجتماعية وليس العكس
- ✓ البناء الاجتماعي متكامل وظيفيا وآليا
- ✓ الأفراد داخل المجتمع يسعون دائما إلى الحفاظ على الاستقرار ويقاومون التغيير
- ✓ شبهت المجتمع في بنائه بالكائن الحي.
- ✓ تصرفات الأفراد وسلوكاتهم ترجع إلى ما تمليه عليهم البنية الاجتماعية لأن الأفراد ليسو أحرار حرية مطلقة في تصرفاتهم.

تقييم: يأخذ على الاتجاه البنائي الوظيفي أنه أحادي النظرة، بمعنى أنه لا يرى ويبحث في النسق الاجتماعي إلا أبعاد التوازن والوظائف وتحقيق الأهداف، فلا يهتم بتحليل أبعاد أخرى مثل أبعاد التغير والاضطراب والأمراض والمشكلات الاجتماعية كما انصب تركيز النائيين الوظيفيين على الجوانب الثابتة من النسق الاجتماعي، والأبعاد الثقافي للنسق كانت أكثر

[1] طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات، مرجع سابق، ص30-36.

استخداما في التفسير من غيرها من مكونات النسق. بالإضافة إلى أنها أهملت جانب الصراع الاجتماعي، والذي هو عنصر أساسي في فهم تغير وتطور المجتمعات الإنسانية الصناعية والنامية.

1- إميل دوركايم(1858_1917):

عالم اجتماع فرنسي، يرى أن علم الاجتماع يجب أن يهتم بدراسة الحقائق الاجتماعية البناء الاجتماعي وعرفه بأنه العلم الذي يهتم بدراسة المؤسسات الاجتماعية من حيث تكوينها ووظائفها. من أبرز اهتماماته موضوع (تقسيم العمل الاجتماعي) ويرى أنه يمثل ظاهرة اجتماعية سائدة في كافة المجتمعات, وأنه يتطور مع تطور المجتمع. عرف المجتمع على انه مجموعة من البنى المحددة والمنظمة والهادفة التي يقوم بها الافراد.

يعتبر الظمير الجمعي مجموعة من المعتقدات والعواطف المشتركة لدى متوسط أعضاء المجتمع الواحد والتي تشكل نظاما اجتماعيا محددا له حياته الخاصة به. يختلف دوركايم مع كونت في ان التغير ظاهرة غير طبيعية ويحذث عندما يفشل النسق في وظيفته المنوطة به من طرف النظام الاجتماعي والطبيعي هو الاستقرار والتوازن الاجتماعي. الظواهر عنده لها وظائف ايجابية في المجتمع لانها تعرفنا عن النتائج السلبية لتجاوزها واصلاحها.

موضوع علم الاجتماع:

موضوع علم الاجتماع عند دور كايم هو الوقائع الاجتماعية، الممثلة في رأيه بالنظم الاجتماعية، وليس الأفراد أو ما يرتبط بهم من حوافز ودوافع .

وحدة التحليل:

إن منهج دوركايم مستند على الناحية الوظيفية التي تحافظ على النظام الاجتماعي واستقراره، هذا بالإضافة إلى استخدام البحث الاجتماعي الإحصائي في دراسته المتعمقة و الدقيقة عن الانتحار في مختلف فئات الشعوب. مؤكدا" أن الانتحار ظاهرة فردية ترجع إلى الفروق الفردية للأفراد والتي تنجم عن القوى والخصائص الاجتماعية التي تؤثر على وعي السلوك

وتصرفات وقيم ومواقف الأفراد. لذلك فان ظاهرة الانتحار بالرغم من أنها تبدو في الظاهر فردية إلا أنها مسألة اجتماعية تفسرها التصورات الجمعية.

عوامل التغير الاجتماعي:

كان دوركايم يعزو التطور الاجتماعي إلى ثلاثة عوامل: كثافة السكان، وتطور وسائل المواصلات، والوعي الاجتماعي. ويتميز كل مجتمع بالتضامن الاجتماعي. وقد كان التضامن في المجتمع البدائي تضامنا" "آليا" إذ كان يقوم التضامن على روابط الدم، ويتميز هذا النوع بأنه بسيط غير معقد التركيب، وغير مميز الوظائف، وكما أن الدين هو أقوى مظاهر الحياة الجمعية في هذا الشكل من المجتمعات ويغلب على هذه المجتمعات سيادة العرف والتقاليد والخضوع لسلطات العادات الاجتماعية ويسمي دوركايم هذه المجتمعات"بالبدائية". وأما المجتمع الحديث فيتميز بالتضامن "العضوي"، إذ يقوم على تقسيم العمل، أي على التعاون الطبقي لكسب ضرورات الحياة، وتتصف هذه المجتمعات بأنها معقدة التكوين حيث تتوزع فيها الوظائف والأعمال وتزيد درجات التخصص ويصبح الفرد أداة من أدوات الإنتاج وعنصرا من العناصر الاجتماعية ويغلب على هذه المجتمعات سلطة القانون.

2- ماكس فيبر(1864_1920)

عالم اجتماع ألماني, كتب عن(الدين, الاقتصاد, السياسة, الاجتماع, السلطة, البيروقراطية), أهتم بالرأسمالية ونشأتها فسر ظهورها نتيجة قوى خارجية هي (الأخلاق الدينية البروتستانتينية). عرف ماكس فيبر علم الاجتماع على أنه العلم الشامل للسلوك البشري.

تكلم عن الفعل الاجتماعي وعرفه بأنه صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي والخارجي. بحيث تنشأ العلاقات الاجتماعية انطلاقا من تبادل الأفعال بين الأفراد. وقسم الفعل إلى أربع أشكال:

الفعل العقلي: غايته محددة وأهدافه واضحة.

الفعل الموجه: هو الذي توجهه قيمة مطلقة.

الفعل العاطفي: وهو فعل صادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل.

الفعل التقليدي: وهو سلوك العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة في المجتمع.

العلاقات الاجتماعية عنده هي تبال الأفعال بين الأفراد على أساس فهم كل منهم للمعاني التي يضفيها كل فرد على أفعاله.

أهتم بدراسة البيروقراطية وعرفها بأنها: تنظيم هرمي تحكمه قواعد وأنظمة وقوانين رسمية، و درس السلطة وقسمها إلى ثلاث أنواع رئيسية: (سلطة تقليدية، سلطة عقلانية قانونية، سلطة كارزمية).

موضوع علم الاجتماع عنده: هو العلم الذي يحاول أن يجد فهما "تفسيريا" للفعل الاجتماعي، من اجل الوصول الى تفسير علمي لمجرى هذا الفعل و آثاره. ويعرف الفعل الاجتماعي بأنه سلوك إنساني يضفي عليه الفاعل معنى ذاتيا سواء كان هذا المعنى "واضحا" أم "كامنا".

وحدة التحليل عنده : اعتبر ماكس فيبر أن وحدة التحليل الأساسية للمجتمع هي الفرد الفاعل.

عوامل التغير الاجتماعي عنده: يعتبر فيبر أن العوامل الفكرية، وخاصة الفكر الديني ممثلا في حركات الإصلاح، كسبب أساسي لتفسيره لظهور الرأسمالية، فقد ارجع ظهور الرأسمالية للأفكار الدينية الجديدة، والتي حلت محل الأفكار والقيم القديمة، كما كانت ممثلة في الكاثولوكية، والتي كانت تعطل الفعل والتطور الاقتصادي، الأفكار والقيم البروتستنتية تضمنت حثا على العمل والادخار، وتحرر الفرد، والفكر العقلاني، فتظافرت هذه لتكون أساسا لظهور الرأسمالية. وأدى هذا التحول الفكري في نظره لمجتمع مزدهر اقتصاديا، عقلاني التفكير والفعل، تحكمه المؤسسية التي تتمثل في نظام بيروقراطي رسمي، وبهذا يمكن تفسير التغير الاجتماعي بالتغير في الفكر والنظام القيمي.

ومن التطورات التي ساعدت على نشوء علم الاجتماع في المجتمع الأوروبي والأمريكي:

التطورات الحديثة في المجتمع الأوروبي: لقد صاحب تحول المجتمع الأوروبي خلال القرن18و19 من حالة الإقطاع والاقتصاد الزراعي لحالة التصنيع وانتشار المدن، مما أدى للانتقال للمدن حيث تعتبر مراكز للمصانع والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة، وارتفاع مستوى المعيشة، وظهور الطبقات الاجتماعية.

3- **تالكوت بارسونز**: ولد "بارسونز" عالم الاجتماع الأمريكي عام 1902 في ولاية كولورادو

في دراسته للفعل تحول "بارسونز" من الاتجاه الطوعي إلى النفعية من خلال الملزمات الوظيفية التي تعتبر نقطة ارتكاز قوية في نظريته حول الفعل والنسق، واعتبر الفعل الاجتماعي نسق معقد من السلوك يحتوى على الفاعل والرموز والقيم التي توجهه وان كل فعل اجتماعي عنده يشتمل على ثلاث عوامل:

- ✓ الفاعل
- ✓ الموقف
- ✓ موجهات الفاعل نحو الموقف: والتي بدورها تنقسم الى قسمين
  - موجهات الدافعية: (الإدراكية /الانفعالية/ التقويمية)
  - القيمية: عدد القيم والمعايير التي يؤمن بها الفرد وتنقسم إلى ثلاثة (المعرفية، التقديرية، الأخلاقية).

وقسم الفعل إلى ثلاث أنواع:

- ✓ **التمهيدي**: كتمهيد لهدف اكبر
- ✓ **التعبيري**: بعد التمهيدي
- ✓ **المعنوي**: يعكس مصالح الفاعل الذاتية والقيمية والثقافية

المحافظة على توازن النسق الاجتماعي:

ساهم "بارسونز" في تحول علم الاجتماع الأمريكي من النظرية النفسية الاجتماعية (السيكوسوسيولوجية) ذات الصبغة الذاتية إلى المنظور الشمولي المعادي للفردية والذي سيطر على علم الاجتماع في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كان "بارسونز" أول عالم اجتماع يطور نظرية متماسكة عن المجتمع باعتباره كلاً متكاملاً. وذلك بالنمط الامبريقي السوسيولوجي بالمقابل للنمط السائد وهو النمط النظري [1] .

واهتم بالنسق وأولاه مكانة هامة في تحليلاته وأهمل الفعل الاجتماعي، ويفترض بارسونز أنه يمكن تحليل المجتمعات باعتبارها أنساقاً. وأن تواتر الفعل الاجتماعي يؤدي إلى ظهور النسق الاجتماعي أو النظام الاجتماعي الذي تجتمع عناصره من بعد ذلك في عملية التوافق أو التوحد المعياري والرمزي أو التوحّد الثقافي، فحسب رأيه لابُد أن يفي أي نسق بأربعة شروط. وبعبارة أخرى لا بد لكي يعمل النسق أن يكون قادراً على حل أربع مشكلات أساسية وهو يسميها "**المستلزمات الوظيفية**" أو "**المتطلبات الوظيفية**" وهي لا تعمل فحسب في التنظيم الاجتماعي، بل تتعلق بالحاجات الشخصية لأعضاء المجتمع وهذه المشكلات أو الشروط هي[3]: (التكيف مع البيئة ــ تحقيق الهدف ــ الحفاظ على النمط ــ التكامل).

وهكذا فالنسق عنده كُلّ مكوّن من أجزاء تتشارك في قيم خلقية مشتركة تحقق التكامل الاجتماعي للنسق وتحافظ عليه، وتتحدد هوية كل عنصر من النسق بعلاقته بباقي العناصر، ونشأته وإسهامه في بقائها. وتلك هي فكرة التساند التي يصل لها الأمر في النهاية إلى التوازن الاجتماعي.

فحالة التوازن هي الإطار المرجعي الذي يتناول على أساسه "بارسونز" بالتحليل كافة عمليات النسق الاجتماعي، وهذا الدافع إلى إيمانه الوظيفي بأن الحقيقة الكونية والإنسانية هي حقيقة

---

[1] علي الحوات، مرجع سابق، ص 180.

[3] احمد سليمان ابوزيد ، **نظرية علم الاجتماع (رؤية نقدية راديكالية)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 61 .

متوازنة. ويرتبط مفهوم التوازن بمفهوم النظام والتساند، حيث يشير هذا الأخير إلى حالة من التوازن السوي ككل، وتعني حالة الفاعلية العادية أن النسق لديه ميلاً ذاتياً للحفاظ على التوازن، بمعنى دعم النسق لأنماطه المتكاملة والمستقرة والمتبادلة والثابتة، فإذا حدث خلل أو انحراف في أجزاء النسق الاجتماعي فعلى هذا الأخير أن يتولى حله وعلاجه للحفاظ على التوازن من جديد [1].

إن الانحراف والتوتر والضغوط توجد كلها كعناصر تعويق وظيفي تميل إلى أن تصبح ذات طابع نظامي أو إلى أن تُحل في خضم الاتجاه نحو التكامل أو التوازن الاجتماعي، ولكن التغير لابدّ منه، بحيث يأخذ التغير الاجتماعي طابعاً توافقياً تدريجياً فإذا كان هناك تغير اجتماعي سريع فإنه يقع داخل النظم الثقافية أكثر مما يقع داخل النظم الاقتصادية. وينطوي كل تغير اجتماعي مهما كانت سرعته على ميل نحو ترك الإطار النظامي الأساسي على ما هو عليه، وفي هذا المقام كتب "بارسونز" في كتابه "**النسق الاجتماعي**" يقول:"إذا كنا نريد أن نتحدث عن نظرية في التغير، فلا بد أن يكون لدينا نموذج محدد يستعمل كإطار مرجعي في دراسة التغير" [2] .

إن عملية التغير هي امتداد لعملية التوازن الاجتماعي، وتأكيداً إلى ما يسعى إليه النسق من نظام فالنسق الاجتماعي يعتبر عالماً اجتماعياً لديه أساليب دفاعية ضد التوتر وسوء النظام والصراع.

4-روبرت ميرتون: Robert Mirton .

إن "ميرتون" قدم موقفاً مخالفاً لغالبية مفكري الاتجاه الوظيفي، إذ نجده يقترب كثيراً من الموقف والتصور الماركسي ويبتعد كثيرا عن أستاذه "بارسونز" وذلك من خلال ثلاثة جوانب أساسية مهمة هي:[1]

---

[1] – على ليلة ، مرجع سبق ذكره ، ص 278.

[2] – فيليب برو، **علم الاجتماع السياسي** ، ترجمة: محمد عرب صافيلا ، لبنان : المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 1998، ص 125.

[1] – علي ليلة، **روبرت ميرتون والتجديد داخل البنائية الوظيفية** ، الإسكندرية : المكتبة المصرية ، 2006 ، ص 05.

1 . انه يحاول إلغاء أي التزام ايديولوجي عن الاتجاه الوظيفي، فهو على حد رأيه في الوظيفي انه يمكن أن يقف موقفاً ايديولوجياً راديكالياً بقدر ما أن بإمكانه تبني موقفاً محافظاً.

2 . قراءته لواقع المجتمع الأمريكي بقراءة ورؤية يستشهد بها بالرؤية الماركسية فهو يؤكد كثيراً على وجود ظواهر التغير والصراع والتناقض، وهي الظواهر والمظاهر التي تهدد بتحوّل كبير في البناء الاجتماعي ككل.

3 . استخدامه لمصطلحات ومفاهيم قريبة من اللغة الماركسية كرفض مسلمة الوحدة الوظيفية، وتأكيد إمكانية بناء إسناد المجتمع إلى عدم التكامل بدلاً من التكامل.

ومن خلال هذا الانقلاب الفكري قدّم "ميرتون" تصوراً جديداً لخصائص ونطاق الاتجاه الوظيفي المحافظ. إذ أعاد تنظيم مسلمات الفكر الوظيفي[2]، وحدد فيه ما هو صحيح وصادق في مسلماته الوظيفية، وما هو باطل. ثم حدد القضايا والمشكلات التي يجب توفرها لدى الوظيفية لصياغة حلول لها. وانتقد بنفسه قبل انتقاد الماركسية الاتجاه المحافظ ويؤكد أن التحليل الوظيفي يعاني من التحيز نحو موقف محافظ ومضاد للتغير ومتعنت لفكره ويتضح ذلك من خلال معالجته لقضايا التناقض والتغير والصراع على أنها قضايا تصور متغيرات النسق الرئيسية.

في رأي "ميرتون" أن عملية التغير لا تعكس فقط تباين المصالح داخل النسق، بل تعبّر أيضاً عن احتمال حدوث الصراع، ومن شأن هذه القضية أن تضع الصراع في جوهر النسق الاجتماعي. مما يعني أن "ميرتون" لم يكن بعيداً في هذا المجال عن "كارل ماركس".

ومع ذلك لم يختلف "ميرتون" مع "بارسونز" اختلافاً صريحاً، بحيث أنه كانت الحالة الأساسية للنسق من وجهة نظر الوظيفية هي حالة التوازن والتكامل، فإننا نجد أن :تالكوت بارسونز" يؤكد على أن النسق الاجتماعي في حالة تلاؤمية مستمرة، يستهدف دائماً تحقيق التوازن الدينامي أو المتحرك، حتى أصبح هذا السعي الأخير هو الحالة الدائمة للنسق، ونجد إلى جانبه

---

[2] – على ليلة ، **البنائية الوظيفية في علم الاجتماع والانتربولوجيا** ، مرجع سبق ذكره ، ص.ص 378.375 .

أن "ميرتون" قد طوّر هذا الجانب والموقف ليؤكد أنه مثلما تشكل حالة التكامل والتوازن الحالة المرجعية للنسق فإنه من الممكن أيضاً أن يستند النسق إلى عدم التوازن أو عدم التكامل.

تكمن أهمية تحليلات "ميرتون" في تطور الاتجاه الوظيفي من خلال تحديثه، وذلك من خلال الإضافات والتحليلات والتفسيرات الجديدة، كمحاولة منه للتعرّف على التحليلات الوظيفية وعلى الأخص العلاقة المتبادلة بين البناء Structure والوظيفة Function وهذا ما جعل "ميرتون" يطرح نوعين من الوظائف التي تظهر في البناءات والأنساق الاجتماعية وهي **(الوظائف الظاهرة والوظائف الكائنة)** [1] .

أ- الوظائف الظاهرة: وهي ذلك النوع من الوظائف التي يمكن ملاحظتها وتسجيلها بصورة سهلة وسريعة، والتي تعكس عموماً أهداف محددة للحفاظ على النسق أو الأعضاء الذين يشاركون فيه. أوهي تلك الوظائف الموضوعية التي تساهم بصورة إرادية في تكييف كيان معيّن.

ب- الوظائف الكامنة: وهي مجموعة الوظائف التي لا يمكن أن تظهر بصورة ظاهرة بل مستترة وغير مقصودة ومتوقعة، ولكنها أيضاً تكشف عن إجمالي الوظائف التي يمكن أن تسهم بصورة ايجابية أو سلبية (انحرافية) في نفس الوقت سواء للأعضاء أو إلى النسق أو التنظيم الاجتماعي ككل.

يعرف "ميرتون" الوظيفة تعريفاً موضوعياً بأنها: "نتائج يمكن ملاحظتها تحقق توافق وتكيف النسق". كما يعرف المعوّق الوظيفي على انه: "نتاج يقلل من إمكانية تحقيق هذا التوافق والتكيف"[2]. لم يهتم "ميرتون" بالجوانب الاستاتيكية للبناء الاجتماعي، وفي هذا طرح فكرة المعّوق الوظيفي ليشير به إلى تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها من تكيف النسق أو توافقه، ويوضح أهمية هذا المفهوم بقوله: "إن مفهوم المعوقات الوظيفية بما يتضمنه من ضغط وتوتر على المستوى البنائي يمثل أداة تحليلية هامة لفهم ودراسة الدينامية والتغيّر" [3] .

---

[1] عبد الله عبد الرحمان ، مرجع سبق ذكره ، ص.ص 51.43 .

[2] – ألان سيجود ، مرجع سبق ذكره ، ص 203 .

[3] – على ليلة ، **البنائية الوظيفية في علم الاجتماع والانتربولوجيا** ، مرجع سبق ذكره ، ص 357 .

ويرى "ميرتون" أنه لكي نستطيع تفسير وجود ظاهرة اجتماعية معينة علينا أن نبحث عن وظيفتها، أي النتائج المترتبة عليها بالنسبة للنسق الاجتماعي الأكبر الذي تمثل جزء منها وفي هذا يقول "ميرتون" :"محور اهتمام البنائية الوظيفية هو تفسير البيانات عن طريق الكشف عن نتائجها بالنسبة للبناءات الكبرى التي تضمها " [1].

خامسا: مدخل الصراع الاجتماعي:

تمهيد: يعد منظور الصراع من المنظورات الأساسية في علم الاجتماع، وترجع أراء نظرية الصراع إلى أعمال "كارل ماركس" في منتصف القرن التاسع عشر. الذي أكد على وجود الصراع الملازم للمصلحة بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال. ثم جاء علماء آخرون ليطوروا هذا المنظور سميت نظريتهم بالماركسية المحدثة ويمثلها كل من: (رالف داهندروف، ولويس كوزر، ورايت ميلز).

1. **المنظور الماركسي للصراع:** يرجع الفكر الماركسي في نشأته إلى حركة الإصلاح الديني التي بدأها "مارتن لوثر" في ألمانيا وهي حركة ذات نزعة قومية تحررية، هدفت إلى تحرير الشعب الألماني من هيمنة روما وكنيستها، مما أثار حربا أهلية أدت إلى تخلف ألمانيا عن الثورة الصناعية في انجلترا وعن الثورة السياسية في فرنسا، لكن ثورة الإصلاح تمخض عنها ثورة فكرية في ألمانيا [2].

كارل ماكس(1818_1883)

ذهب "ماركس" إلى أن النشاط الاقتصادي هو مصدر السلوك الاجتماعي والنظم الاجتماعية، واعتبر الطبقية إحدى المظاهر الأساسية للحياة الاجتماعية، وينشأ الصراع ، بين أرباب العمل وبين قوة العمل المستخدمة في إنتاج السلع والخدمات. لكنه يعتقد بأن الصراع بين "**البلوريتاريا**" وهم العمال و"**الطبقة الرأسمالية**" وهي الجماعات التي تمتلك وسائل الإنتاج من

---

[1] علي عبد الرزاق جلبي ، **الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع** ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2005 ، ص 50.

[2] عبد الفتاح إبراهيم، **الاجتماع والماركسية**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1980، ص06.

موارد وتقنية ومصانع، بتزايد وعي العمال ورفضهم للواقع المعاش حيث يقومون بثورة تنتهي بتحطم النظام الرأسمالي ويحل محلة النظام الشيوعي الذي يعتبره النظام المثالي.

وضح ماركس في نظريته: "المادية الجدلية" بأن هناك وحدة لا تقبل الانفصال بين :

أ _**قوى الإنتاج** social forces : المؤلفة من موضوعات الإنتاج (الأرض، المناجم، الغابات، المواد الخام).

ت-**أدوات الإنتاج**: (الفؤوس، المحاريث، الآلات).

ث-**علاقات الإنتاج**: وهي تلك العلاقات الاجتماعية بين الناس والروابط الاجتماعية التي يقتضيها الإنتاج ويستحيل بدونها.

وحدة التحليل: وحدة التحليل عنده هي أن القاعدة الاقتصادية أساس تشكيل البناء الاجتماعي وتطوره.

اعتبر ماركس المجتمع الإنساني وحدة الدراسة والتحليل. وقال بأن فهم المجتمع وتفسير تطوره يقوم على افتراض أن القاعدة الاقتصادية هي أساس تشكيل البناء الاجتماعي وتطوره.

ويطلق على هاذين الجانبين نمط الإنتاجMode production ، وان علاقات الإنتاج تعتمد على ملكية وسائل الإنتاج Means of production وتعمل على تطوير قوى الإنتاج من خلال تقسيم العمل، وهذا التطور هو نقطة البدء في التغير الاجتماعي لان هذا يحدث خللا في التوازن القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج فمع تطور أدوات الإنتاج يتطور الإنسان أيضا فتنمو مهاراتهم وقدراتهم .

عوامل التغيرالاجتماعي: يحدث التغير الاجتماعي عنده نتيجة عمليات التناقض والصراع بين قوى الإنتاج وعلاقاته من جهة، وبين الطبقات من جهة أخرى، يمر المجتمع الإنساني بمراحل يطلق على كل منها "نمط إنتاج" . وقد ذكر "ماركس" عدة أنماط إنتاج هي :(النمط البدائي، العبودي، الإقطاعي، ثم الاشتراكي وأخيرا الرأسمالي) الذي يحل محله النمط "**الشيوعي**"، والذي

يفترض أن يكون الحالة المثالية الخالية من التناقضات، وذلك بإحلال الملكية العامة محل الملكية الخاصة.

المكانة العلمية : هو مؤسس الشيوعية العلمية وفلسفة المادية الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي، وزعيم ومعلم البروليتاريا العالمية. ولد في تريير (ألمانيا) حيث أنهى المدرسة الثانوية في عام 1835 ، وبعد ذلك التحق بجامعة بون ثم جامعة برلين. وفي ذلك الوقت كانت نظرته العامة للعالم قد بدأت تتشكل. ولقد تمسك ماركس بالأفكار الديموقراطية الثورية فأتخذ موقفا" يساريا" متطرفا" بين الهيغليين الشباب. وكما تم طرده من عدة أقطار بسبب نشاطاته الثورية حتى استقر أخيرا" في انجلترا. ان كتاباته كانت تنصب بشكل واسع على الفلسفة، والاقتصاد، والسياسة، والتاريخ، ولم يفكر بنفسه كعالم اجتماع. ولكن عمله كان غنيا بالقضايا الاجتماعية حتى وصف انه واحد من أكثر المفكرين بعلم الاجتماع الأساسيين .

تقييم:

- ✓ لا شك أن آراء ماركس حول المادية التاريخية والمادية الجدلية يكتنفها الكثير من الصعوبات والغموض ولا سيما عند تفسيرها للواقع الاجتماعي و الاقتصادي والسياسي للمجتمعات الحديثة والعلاقة المتبادلة بين الوجود والوعي وتفسيرها على الأساس المادي والاقتصادي هذا فضلا على أن ماركس لم يفصل بين البناء التحتي (الاقتصادي) والفوقي (الفكري و الإيديولوجي) من التداخل في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وأولويات كل منهما لدى البشر والمجتمعات الإنسانية.
- ✓ تصورات ماركس جاءت حول الصراع الطبقي مليئة بالمبالغة أحيانا والمثالية أحيانا أخرى فكيف يمكن إلغاء الملكية وهي أمر سماوي أقرته جميع الشرائع السماوية وكيف إلغاء الطبقات و ظهور المجتمع اللاطبقي وهناك تمايز بين الأفراد والطبقات نتيجة لاختلافهم في مستويات الذكاء والطموح .

- ✓ أعطى ماركس للطبقات العاملة نصيبا اكبر في تصوراته وتحليلاته ومحاولتها امتلاك السلطة والسيطرة وجاء هذا التميز العاطفي بعيدا عن الواقع الفعلي والدور لهذه الطبقات في تحريك مسيرة التاريخ وإحداثه والتغيرات الاجتماعية ككل وأمثلة ماركس عليها كانت فردية لا يطلق عليها عموميات.
- ✓ من الصعب قبول آراء ماركس وتفسير آراءه المادية للتاريخ وتأكيده أن مجمل التغير السياسي والاجتماعي في تاريخ الإنسانية يرجع إلى الصراع الطبقي وظهور الحروب الحديثة بين الطبقات بصورة مستمرة والصراع حدث لأسباب أخرى متعددة. .
- ✓ حرص ماركس بشكل شديد على تحليل عملية انهيار الرأس مالية لأنها تحمل الكثير من التناقضات بداخلها ولكن ثبت تاريخياً بعد وفاة "ماركس" أن العكس هو الذي حدث بالفعل وانهارت الشيوعية.

سادسا: الماركسية المحدثة:

ينظر مفكرو مدرسة الصراع على العكس من تشديد الوظيفيين على الاستقرار والإجماع إلى العالم على أنه في حالة صراع متواصل، ويفترضون أن السلوك الاجتماعي يحسن فهمه في سياق الصراع أو التوتر بين الجماعات المتنافسة، وليس من الضروري أن يكون هذا الصراع عنيفاً إذ يمكنه أن يأخذ شكل المفاوضات العمالية والسياسات الحزبية والتنافس بين الجماعات الدينية والاثنية. فامتدادا لأعمال ماركس بدأ علماء الاجتماع المعاصرون ينظرون إلى الصراع لا على انه مجرّد ظاهرة طبقية فحسب، ولكنه جزء من الحياة اليومية في جميع المجتمعات.

قامت الماركسية المحدثة بتعريف الصراع بطريقة أكثر اتساعا من تعريف ماركس فبينما حصره ماركس في الصراع بين الطبقات في الجانب الاقتصادي، نجد الماركسية المحدثة تنظر إلى الصراع على انه ينشأ بين أيه جماعات أو أقسام ينقصها الشعور بالمساواة. ثم درسوا الصراع الذي يكون منشؤه عرقي (بين البيض والزنوج)، والصراع الذي أساسه جنسي (بين

النساء والرجال)، والصراع الجيلي (بين الشباب والكبار)، والصراع الديني (بين جماعة دينية وأخرى)..وغير ذلك من أشكال الصراع المتعددة.

وقد ركز "رالف دانهردروف" على الصراع حول السلطة، واعتبر "كوزر" الصراع على انه الكفاح حول القيم والمطالبة بالمكانة والقوة والموارد النادرة.

1. رالف دهرندروف: Ralf dahrandorf.

في البداية يعرف النظرية السوسيولوجية كونها:" مجموعة قوانين يستخرج منها استنتاجات دقيقة وغير متميزة لها فاعلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس من واقعها الحقيقي"[1] .

ينطلق دهرندروف في نظريته للمجتمع من نقد للبنائية الوظيفية والنظرية الماركسية معاً، ويعتبرها نظريات مجتمع اليوتوبيا. ويرى ضرورة الخروج عن هذا التحليل الطوبائي الذي ينظر للمجتمع نظرة مثالية مطلقة بحيث كل المؤسسات متضامنة، إلا انه استخدم نفس أدوات التحليل لكلى النظريتين وحلل بنظرية التكامل ونظرية القهر. تنظر نظرية التكامل أن كل المجتمع متواصل إلى درجة ما وثابت من حيث بناء عناصره المتكاملة، ولكل عنصر وظيفة خاصة بحيث يسهم في دوام المجتمع كنسق، ويعتمد كل بناء اجتماعي وظيفي على نوع من الوفاق بين أعضاءه، وعلى العكس من هذه الأفكار تركز نظرية القهر على أن كل مجتمع عبارة عن موضوع عمليات التغيّر بوجهة أو بأخرى، والتغير الاجتماعي هذا كل الوجود، ويصور كل مجتمع في كل فترة نوعاً من النزاع أو الصراع ويسهم كل عنصر في عدم تكامل النسق، كما أن ليس كل بناء اجتماعي على وفاق القيم، وإنما يعتمد على قهر بعضها البعض، وقد رأى دهرندروف أن كلتا النظريتين هامتين لفهم المجتمع في اجتماعهما [2] .

---

[1] – معن خليل عمر ، **نظريات معاصرة في علم الاجتماع**، الأردن : دار الشروق للنشر والتوزيع ، 2005 ، ص 20.

[2] – يونل تايمز، **علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية**، ترجمه غريب السيد احمد، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 1997، ص 44.

من خلال هذا الدمج اقترح دهرندروف نموذجا • للصراع بدل اليوتوبيا، وانتقاده للاتجاه الطوبائي، وحاول أن يضفي نوعاً من الموضوعية على نظريته فإعترف بالصراع كظاهرة اجتماعية طبيعية في كل المجتمعات يمكن أن تكون له وظائف ايجابية تدفع نحو التغيّر، فهو لا يتصوّر وجود المجتمع في ضوء مفاهيم التنسيق الوظيفي والتكامل والتناسق والتوازن والتضامن، كما لا يتصوّر وجود المجتمع في ضوء الصراع الطبقي ذو المضمون الاقتصادي المادي كما زعم ماركس، وإنما ينادي بضرورة إعادة توجيه علم الاجتماع نحو مشكلات التغيّر والصراع والقهر التي ينطوي عليها البناء الاجتماعي.

حاول "دهرندروف" في كتابه "الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الصناعي" أن يفحص مدى فائدة التحليل الاجتماعي الذي قدّمه ماركس في دراسته للمجتمع الرأسمالي إذ ذهب إلى أن :" هذا التحليل يحتاج إلى تعديل عندما يطبقه على المجتمع الصناعي الحديث أو المجتمع ما بعد الرأسمالي، ويرجع ذلك إلى أن البناء الاجتماعي لهذا المجتمع قد شهد تغيرات ملحوظة منذ أعمال ماركس مثل : تطور الشركات الصناعية والتجارية ونتيجة للتقدّم التكنولوجي، تغيّر أوضاع العمال في الشركات الصناعية، واختلاف معدلات العمال المهرة وغير المهرة، تطور مفهوم الطبقة الوسطى التي أصبحت تضم ذوي الياقات البيضاء، ارتفاع معدّلات الحراك الاجتماعي وبخاصة بين الأجيال...".[3]

ويوضح "دهرندروف" في تحليله للمجتمع الصناعي الحديث أن الصراع في المجتمع ما بعد الرأسمالي سوف يصبح صراعاً منظماً ويتم بصورة نمطية يمكن التنبؤ به والتحكم أو السيطرة عليه إذا خضع لقواعد محددة ومعروفة. فالصراع يتم و يقع في المحيط السياسي وليس في الميدان الاقتصادي ومن علاقات الملكية لوسائل الإنتاج إلى علاقات السلطة، ومن تعارض المصالح إلى استمرار الصراع، ومن الصراع كوسيلة ضرورية للتغيّر إلى البحث في وظائف الصراع في الكل

• الكثير من المنظرين السوسيولوجيين يطلقون على أنصار الماركسية المحدثة بأنصار الاتجاه التوفيقي، والتي جاءت كرد فعل لاخفاق كل من الوظيفية والماركسية في تفسير الواقع المتغير في المجتمعات الحديثة .

[3] محمد علي محمد ، **تاريخ علم الاجتماع** ، القاهرة : دار المعرفة الجامعية ، 1986 ، ص 532.

الاجتماعي. واستناداً إلى هذه الرؤية يحدد "دهرندروف" أسس المجتمع الرأسمالي الذي يسميه "مجتمع ما بعد الرأسمالي" في النقاط التالية:[4]

- يغيّر كل مجتمع معروف عندنا من قيمه ونظمه باستمرار، وقد يكون هذا التغيّر سريعاً أو تدريجياً عنيفاً أو منظماً شاملاً أو محدوداً، ولكن لا يمكن أن يغيب عن الذهن أبداً أن الأفراد يخلقون تنظيمات ليعيشوا في إطارها سوياً متعاونين، وهي حالة التوازن والنظام.
- يجب إعادة صياغة النظرية الاجتماعية لتخرج من عالم اليوتوبيا إلى نموذج الصراع، الذي له كفاءة امبريقية تتمثل في قدرته الكبيرة على دراسة التغير، فالصراع هو القوة الخلاقة التي تصاحب التغير.
- يتمسك "دهرندروف" بنموذج الصراع والتوازن، فالمجتمع له وجهان متوازيان: الأول يكشف عن الاستقرار والتآلف والاتفاق العام "التوازن" والوجه الثاني يكشف عن التغير والتحول "الصراع" ومن هنا ليس بمقدورنا فهم الواقع بشكل حقيقي إلا إذا وضعنا أيدينا على التفاعل الجدلي بين الثبات والتغير والصراع.
- لم تعد النظرية الماركسية في الصراع الطبقي تتلاءم مع بناء المجتمعات الصناعية الحديثة، فقد تغير هذا البناء الاجتماعي الرأسمالي عن الوقت الذي كتب فيه ماركس أطروحته. ومن أهم مظاهر هذا التغير في رأي "دهرندروف" انفصال الملكية عن الإدارة إضافة إلى تفتت وحدة الطبقة العاملة فلم يعد كل أفراد البروليتاريا يشغلون مكانة واحدة في المجتمع وهنا يركز "دهرندروف" على مصطلح "**أشباه الجماعات**" بدلاً من "**الطبقات**". ويرى بأن توجهات هذه الجماعات تحدد من خلال حيازة السلطة والاستبعاد منها، وبكلمة واحدة لينما وجدت السلطة فسوف يناضل الناس من اجلها.

إن النموذج الذي قدمه يجمع بين عناصر التوازن والاستقرار، وعناصر الصراع والتغير. وبذلك نجده اهتم بالصراع الاجتماعي الذي أهمله أصحاب النظام، وقبِل بالشكل العام كما تصوره

---

(4) احمد زايد ، **علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية** ، القاهرة : دار المعارف ، 2005 ، ص.ص 185.198.

ماركس، ولكنه في الوقت ذاته رفض مضمونه ليقدم مضمونا جديداً استبدل فيه الحتمية الاقتصادية بالحتمية السياسية.

أ. القضايا التأسيسية لنظرية الصراع عند رالف:

اهتم دهرندروف بحقيقة مؤداها أن الأبنية الاجتماعية قادرة على أن تنتج من نفسها العناصر التي تدبرها أو العناصر التي تغيّرها، وتبعاً لذلك حول تحديد الجماعات والعمليات التي تدخل في إحداث هذه الظاهرة تحديداً نظرياً، وتحليلاً تجريبياً امبريقياً، وقد حاول أن يصيغ نظرية عامة عن الصراع الاجتماعي مستفيداً من نظرية التكامل ونظرية القهر. وأسس نموذجاً توفيقياً أسسه القضايا التالية :

- المصالح هي العناصر الأساسية للحياة الاجتماعية.
- تتضمن الحياة الاجتماعية القهر والإغراء والإقناع.
- الحياة الاجتماعية انقسامية بالضرورة.
- الحياة الاجتماعية تولّد التعارض والتناقض.
- الحياة الاجتماعية تولّد مصالح تتباين في القطاعات المختلفة.
- يتضمن التباين الاجتماعي وجود سلطة.
- الأنساق الاجتماعية مفككة ومملوءة بالتناقضات.
- تتجه الأنساق الاجتماعية إلى التغير.
- كل مجتمع هو صيغة من العناصر المستمرة نسبياً .
- كل مجتمع هو صيغة متكاملة من العناصر.
- يسهم كل عنصر من عناصر المجتمع في أداء وظائفه.
- يقوم كل مجتمع على أساس الاتفاق بين أعضاءه.

وفي سياق منظور "دهرندروف" هذا الجدلي الذي دعى به إلى اختيار مجموعة القضايا من أجل الوصول إلى جواب عن التساؤل: ما الذي تكشف عنه مجموعة القضايا عن الصراع داخل الأنساق الاجتماعية ؟.

معالجة قضاياه في المجتمع ما بعد الرأسمالي التي تحوي أنواع شتى من الممارسات السياسية وأنماط التفاعل، والظروف التنظيمية وتوزيع السلطات داخل التنظيم كلها متغيرات وغيرها يمكن أن تؤثر في العملية الصراعية ويأتي تفصيل القضية في الفروض النظرية لنظرية الصراع الجدلية:

ب. قضايا وفروض دهرندروف:

لقد صاغ دهرندروف مسلمات الصراع في الفروض التالية:

– كلما كان في وسع الأعضاء في الجماعات وفي الرابطة المتناسقة أن يصبحوا مدركين لمصالحهم الموضوعية وتكوين جماعات صراع كلما زاد احتمال حدوث الصراع.

– كلما كان في بالإمكان تلبية الشروط التقنية للتنظيم، كلما زاد احتمال تكوين جماعات صراع.

– كلما أمكن ظهور قيادة بين الجماعات، كلما زاد احتمال تلبية الشروط والظروف التقنية للتنظيم.

– كلما أمكن تلبية الشروط السياسية للتنظيم، كلما زاد احتمال تكوين جماعات صراع.

– كلما أمكن تلبية الشروط السياسية للتنظيم، كلما زاد احتمال تكوين جماعات صراع.

– كلما سمحت الجماعات المسيطرة بتنظيم المصالح المتعارضة، كلما زاد احتمال تلبية الشروط السياسية للتنظيم.

– كلما أمكن تلبية الشروط الاجتماعية للتنظيم، كلما زاد احتمال تكوين جماعة صراع.

– كلما زادت فرصة أعضاء الجماعات للاتصال كلما زاد احتمال تلبية الشروط الاجتماعية للتنظيم.

– كلما سمحت الترتيبات البنائية بالتمييز، كلما زاد احتمال تلبية الشروط الاجتماعية.

– كلما قلت تلبية الشروط الفنية والسياسية والاجتماعية، كلما زادت شدة الصراع.

– كلما كان توزيع السلطة والمكافآت الأخرى مرتبطة بعضها بالبعض الآخر، كلما اشتد الصراع .

– كلما قل الحراك بين الجماعات المسيطرة والخاضعة، كلما اشتد الصراع.

– كلما قلت الشروط الفنية والسياسية للتنظيم، كلما زاد الصراع عنفاً.

– كلما زاد حرمان الجماعات الخاضعة في توزيع المكافآت والمميزات من أساس مطلق إلى أساس نسبي، كلما اشتد الصراع عنفاً.

– كلما قلت قدرة جماعات الصراع على وضع اتفاقات تنظيمية، كلما اشتد الصراع عنفاً.

– كلما اشتد الصراع، كلما زاد حدوث التغير الهيكلي، واعادة التنظيم الناشئ عن الصراع.

– كلما زاد عنف الصراع، كلما زاد معدّل التغير الهيكلي وإعادة التنظيم من جديد.

2– لويس كوزر والصراع الوظيفي: Lewis coser.

يعتبر "لويس كوزر" أحد رواد الماركسية المحدثة أو نظرية الصراع. الذين امتزجت كتاباتهم بخبراتهم المهنية كأساتذة لعلم الاجتماع في العديد من الجامعات الاوربية والأمريكية، ولد بألمانيا ودرّس بأمريكا، وكان من تلامذة "روبرت ميرتون"، اهتم بالنظرية السوسيولوجية وعلم الاجتماع المعرفة وعلم الاجتماع العلم، ومن أهم أعماله "**وظائف الصراع الاجتماعي**" الذي صدر عام 1956. جاءت اهتماماته السوسيولوجية والتي اصطبغت بتحليلات الصراع من خلال تبنيه للعديد من الاتجاهات اليسارية (الحزب الشيوعي الأمريكي)، وإسهاماته في نظرية الصراع ارتبطت أيضا بالكثير من التحليلات الأطروحات البنائية الوظيفية الكلاسيكية والمعاصرة، والتحليلات السيكوسوسيولوجية ونظرية التفاعل لـ:"جورج سيمل"، وقضايا الماركسية وخاصة أفكار "كارل ماركس". إلا أنه شن حملة نقد للاتجاهات السابقة عليه وفي عصره، بحيث قدّم انتقادات كثيرة للبنائية الوظيفية وتصوراتها لقضايا النظام والتوازن التام وخاصة انتقاداته لـ"بارسونز" الذي أوضح أنه قلّل من دور الصراع في أعماله التحليلية معبراً الصراع بمثابة مرض،

وانتقد أيضاً وبشدة "رالف دهرندوف" لضعف تأكيده على الوظائف الايجابية للصراع في صيانة الأجهزة والتنظيمات الاجتماعية، هذه الانتقادات ذات الجانبين سمحت لـ"كوزر" بصياغة منهج نظري يمكن له أن يكمّل صورتي التنظير الوظيفي والصراعي الجدلي وذلك بوضع نسق للتصورات والمفاهيم التي توضح كيف أن العملية المؤسسية تحل مشكلة النظام، ويركز فيه على عملية الصراع الاجتماعي، وعلى وظائف الصراع الاجتماعي بدلاً من الوظائف السلبية للصراع. واعتقد أن الوظائف الايجابية للصراع تؤدي إلى تزايد التكيف أو توافق مجموعة من العلاقات الاجتماعية الخاصة بدلاً من التفكك والانحلال الذي نادى به "ماركس". وهكذا فالصراع عنده يعني النظال في سبيل قيم محددة، والصراع على مراكز ومكانات معينة في سبيل بلوغ السلطة والاستيلاء على الموارد النادرة التي تستمد منها القوة، وتكمن أهداف المتصارعين في تحقيق التعادل والتوازن بين المتنافسين أو الإضرار بهم.

وعلى غرار رواد الماركسية المحدثة ودراساتهم لأصل وأسباب الصراع وأنواعه ونتائجه (الجذور النظامية للصراع) نجد "كوزر" قد سعى في طروحاته حول الصراع إلى التركيز على النتائج المترتبة عن الصراع والتي توجد في كل الأبنية الاجتماعية المسيطرة، بالإضافة إلى ذلك النوع من البنى القابلة للتغير والاستمرارية.

أ. أصل الصراع الاجتماعي عند كوزر:

حاول كوزر في دراسته عن الصراع الاجتماعي أن يولي اهتماماً أكثر من غيره من منظري الصراع كـ"ماركس" و"دهرندروف" و"دافيد لوكود" و"جورج سيمل"، وخاصة الدور الذي تلعبه عواطف الناس في توّلد الصراع الاجتماعي، والفكرة هاته استمدها من "جورج سيمل" والتي تدور حول مدى تأثيرا عواطف الناس على ظهور الصراع العدائي وخاصة بين الأفراد الذين تجمعهم علاقات اجتماعية قوية حيث تظهر مظاهر الحب والكراهية بصورة واضحة في إطار هذه العلاقة والتي تنتج عن طبيعة هذه العواطف وتأثيرها على طبيعة العلاقات الاجتماعية.

ويرى "كوزر" أن الصراع الاجتماعي في المجتمعات الحديثة ليس الصراع على الملكية كما زعم "كارل ماركس" :" بل صراع على القيم وطلب المكانة والموارد النادرة، بحيث لا تكون بوسع هذه الجماعات المتصارعة تحقيق القيم المرغوبة فحسب، بل تحييد وإيذاء أو حتى إقصاء الجماعات المتنافسة " [3] .

وعمّا يؤخذ على هذا التعريف أنه يتضمن المواقف التي يمكن أن توقف فيها المصالح المتعارضة والخلافات حول القيم دون إيذاء الخصوم.

ب. أنواع الصراع عند كوزر:

يصنف "كوزر" الصراع وفقاً لدرجة انتظامه المعياري داخل النسق الاجتماعي، وفي هذا يميز بين نوعين من الصراع، الأول مصاغ صوغاً نظامياً، يتمثله النسق ويوزعه بين مكوناته، وهو الصراع الواقعي. والثاني غير مصاغ صوغاً نظامياً، وهو ذلك الصراع الذي يعوّق النسق عن آداء وظائفه الاجتماعية وهو الصراع غير الواقعي. وفي هذا نجده متأثراً بتصور "بارسونز" عن الصراع. ورأى أن التغير الذي يحدث كنتيجة مصاحبة للصراع يساهم في إعادة التكييف الاجتماعي للأعضاء وإعادة إنتاج النسق من جديد وضبط توازنه.

– **الصراع الواقعي**: يحدث هذا النوع من الصراع داخل إطار من القواعد النظامية والمؤسسات التنظيمية تتحدد فيه السلطات وتقسيمات العمل والمهام، ويكون غالباً صراعاً عقلانياً منظماً، يحدث بين الأفراد المشكلين للتنظيم والجماعات التنظيمية.

– **الصراع غير الواقعي**: يُعبّر الصراع غير الواقعي عن الحرمان من المشاركة في المطالب الاجتماعية والذاتية، أو عدم قدرة أطراف الصراع المتنافرة والمتناحرة على تحديد الأهداف. وغالباً ما يُفسّر هذا النوع من الصراع في إطار ما يسمى بالمصالح الخاصة للأفراد والجماعات.

– **الصراع الخارجي**: يتم هذا النوع من الصراع بين الأمم والشعوب، أو بين جماعتين أو أكثر مثل الصراع الاثني والعاطفي، أي بين طرف الجماعة والجماعة الخارجية.

---

[3] – احمد سليمان أو زيد ، مرجع سبق ذكره ، ص 116.

– **الصراع الداخلي**: استعان "كوزر" في ضبط مصطلح الصراع الداخلي بتصورات وتحليلات الاتجاه الوظيفي والماركسي والاتجاه السيكولوجي، والاستشهاد بالدراسات الانتربولوجية، وانطلق من فكرة الوظيفية القائلة بأن الصراع يعكس مظاهر الخلل والانحراف والتفكك الذي يظهر بين أعضاء الجماعة داخل النسق.

المحور السادس: المقاربات الحديثة والمنظرون الجدد للنظرية السوسيولوجية

أولا: بيار بوديو (1930–2002):

يعتبر أقوى علماء الاجتماع الفرنسيين في النصف الثاني من القرن العشرين من حيث التأثير والذي رشح في أوائل الثلاثينات من عمره مديرا للدراسات بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس ذات المكانة المحترمة. ولد في مقاطعة "بيرن" في إقليم البرانس، بيئته قريبة الشبه من منطقة القبائل التي أجرى فيها تدريبه الميداني كباحث اثروبولوجي والتي وفرت الأساس الامبيريقي لأعماله الرئيسية في كتابه: "**الإطار العام لنظرية في الممارسة**" وكتاب "**منطق الممارسة**".

عمل "بوديو" على إعادة الفهم التكاملي للعلاقات بين الأبعاد الرمزية والمادية للحياة الاجتماعية (تجاوز متناقضة الذاتي والموضوعي)، ومن أجل تحقيق هذا الهدف حاور "بوديو" الماركسية البنيوية وطور اقتصاد سياسي للقوة الرمزية تضمن نظوية المصالح الرمزية ونظرية في القوة كرأس مال ونظرية في العنف الرمزي ورأس المال الرمزي.

وطور نظرية جمعت بين النزعة الموضوعية عند "دوركايم" والنزعة الذاتية للفلسفة الظاهراتية إذ طور فكرة عن التنشئة الاجتماعية من خلال مفهوم الطابع الاجتماعي والثقافي، والذي أكد على أهمية مهارات وطرق رؤية العالم التي ورثها الناس من الأبنية الاجتماعية الموضوعية الجائرة الموجودة حولهم فتأثير شخص ما أو رأس ماله سواء الثقافي أو الاجتماعي أو الاقتصادي. داخل مجال مؤسسي معين ينجم عن درجة اللاتماثل أو الصراع بين هذا المجال والطابع الاجتماعي والثقافي لهذا الشخص.

إذن نستطيع القول أن مبادئ نظرية "بورديو" تختصر المبادئ البنيوية وفي الوقت ذاته عن طريق تجاوزها ونقدها. إذ يقارب "بورديو" النظام التعليمي كمجال مرتبط بالنظام الاجتماع ككل من خلال كتابه إعادة الإنتاج، عن طريق دراسته للعلاقات المتبادلة بين العلميات التربوية في المجتمع وبين النظام التعليمي المرتبط بتشكيلة اجتماعية معينة، عن طريق تركيزه على دراسة المسارات التي تجري داخل هذا النظام والأولويات البيداغوجية الانتقائية. ويفسرها من خلال ثلاث تصورات (الهبيتوس، نسق المواقف، إعادة الإنتاج).

يتدخل **الهابتوس** كوسيط بين نسق الضوابط الموضوعية ونسق التصرفات القابلة للملاحظة، فالأشخاص إذا ما وجدوا في ظروف اجتماعية مختلفة فإنهم سوف يكتسبون استعدادات مختلفة، لان ممارسات الأفراد تضبطها مجموعة من الشروط الموضوعية الخارجة عن إرادتهم ووعيهم.

عمل "بورديو" من خلال تحليله السوسيولوجي إلى الوصول إلى مبدأ تفاوت النجاح الدراسي للأطفال المنحدرين من طبقات اجتماعية مختلفة، من خلال تحليله لعدم التكافؤ بين أطفال الطبقات العليا والدنيا مما يزيد في فرص نجاح أطفال الطبقات العليا، وهنا يقول:"التوزيع اللامتكافئ للرأس مال اللساني ذو المردودية النسبية بين مختلف الطبقات الاجتماعية يشكل إحدى التوسطات الخفية والتي تتأسس خلالها العلاقة بين الأصل الاجتماعي والنجاح المدرسي".

رأس المال الثقافي التي يتمتع به أبناء الأغنياء يجعلهم متفوقين داخل المدرسة على أبناء الفقراء إذ يقول بهذا الصدد: "التلاميذ المنحدرين من أصول برجوازية يدرسون الآداب القديمة ولغاتها منذ مرحلة الثانوية بالإضافة إلى أن وسطهم العائلي يمكنهم من إتقان اللغة وامتلاك استعدادات وعادات ثقافية ومهارات فكرية وشخصية مشروطة اجتماعيا...وتوفر شروط الحياة الداخلية كالملبس ووسائل الترفيه والإمكانات المادية من الرفع من مستوى التفوق"[1].

[1] **انظر:** Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron**; La reproduction**, eléments pour une théorie du système d'enseignement, édition de minuit,1980.

كل هذه الأشياء حسب "بورديو" تكرس عنفا رمزيا وتجعل من وظيفة المدرسة ترسيخ ثقافة فئات الطبقة المهيمنة على شكل ابيتوس مستنسخ يجسد التعسف المقنن ويضمن إعادة إنتاج هذه الطبقة لنفسها. قوة هذا التعسف تجعل الطبقات المسحوقة تستسلم لما فرض عليها ولا تجد بدا من الاقتناع بشرعية الثقافة السائدة وبالتالي شرعية التعسف الثقافي، ونتيجة لذلك يعتبرون أن ثقافتهم غير شرعية لذا يجب التخلي عنها والتمسك بما هو أرقى واضمن ألا وهو الثقافة السائدة.

نستنتج: من خلال مقاربة "بورديو" أنه تجاوز الماركسية عن من خلال ابتكار مصطلح المصالح الرمزية على اعتبار أن الماركسية تقلل من قيمة الأبعاد الرمزية والسياسية وتعيد إنتاج متعارضة الذاتي والموضوعي، وعمل على توسع فكرة رأس المال لتشمل جميع أشكال القوة سواء كانت مادية أو ثقافية أو اجتماعية أو رمزية، يستخدمها الأفراد من اجل المحافظة على مواقعهم في النظام الاجتماعي.

العلاقات الاقتصادية ليست علاقات اقتصادية فقط وإنما هي علاقات قوة وعلاقات معاني أيضا.

الثروات الرمزية تساهم في تراكم منافع النفوذ وبالتالي إعادة إنتاج الطبقية.

نميز عند "بورديو" أربع أنواع لرأس المال: الاقتصادي(المال والملكية)، الثقافي(المنتجات الثقافية، الشهادات، المعرفة..الخ)، الرمزي(الشرعية).

هناك عنفا يمارسه النظام التربوي يتمثل في ترسيخ التعسف الثقافي وفرض الابيتوس المطابق لترتيب الطبقات الاجتماعية من اجل ضمان إعادة إنتاج التنظيم الاجتماعي القائم.

تقييم: من خلال قراءتنا للأفكار والطروحات التي أتى بها "بورديو" واذا ما حاولنا أن نربط بين أفكاره وأفكار "كارل ماركس" نجد انه لم يطرح أية صيغة تفاضلية بين أنواع رأس المال المختلفة، ولم يعطي لنا مقارنة بينها، على العكس عند "ماركس" موقع الفرد في البناء الطبقي يتحدد من خلال ملكيته لوسائل الإنتاج ويترتب على ذلك امتيازات مختلفة يحضا بها.

لم يشر "بورديو" إلى تحالفات رأس المال والتي تظهر بصورة واضحة بالنسبة للدولة المركزية والتي تمثل رأس المال السياسي حيث تتحالف جميع أنواع رأس المال مع سلطة الدولة (الثقافي والاجتماعي والديني والتربوي..).

ثانيا: أنتوني غيدنز وتشكل البنية كمنظور جديد

ولد في لندن عام 1938 عمل أستاذ في "كينج كوليج" في "كامبردج" وفي جامعة "كاليفورنيا"، وترأس مدرسة لندن للاقتصاد المرموقة، درس في جامعة "ليكستر" حيث ألتقى من خلالها بـ:"نوربت الياس"، وكان قد تأثر بأعماله. ترجمت كتبه إلى حوالي 22 لغة عبر العالم.

مشروعه الأساسي هو تجاوز المعارضة التقليدية بين سوسيولوجيا تقول بالحتمية وسوسيولوجيا تقول بالفردية، أما على الصعيد السياسي فيعتبر منظر الوسط الراديكالي.

نظريته البنائية تدور حول هدف تجاوز المعارضة بين سوسيولوجيا تقول بالحتمية وفيها تهيمن الضغوط والبنيات, وسوسيولوجيا تقول بالفردية وهي تأخذ بعين الاعتبار هوامش الحرية عند الفاعل وكفاءاته. إذ يرى أن هناك ثنائية بنيوية للاجتماعي، فالمجتمع هو إنشاء مستمر مرتبط بعمل الفاعلين الاجتماعيين. لكن الفعل الخلاق للاجتماعي مشروط بأطر ضاغطة. ويميل أيضا إلى الاستتباب في فعل روتيني نأخذ كمثال: المنشاة أو العائلة هما مولودتان من مشروع، من فعل مؤسس، تعيشان تطورا مستمرا وتميلان في الوقت ذاته للانبناء بالعمليات الروتينية، بالأفعال اليومية الخاضعة لقواعد ولترتيبات.

الانعكاسية (الارتدادية): في المعرفة الاجتماعية في العلوم الطبيعية بإمكانك أن تدرس وأن تتوقع سلوك جسم ما إذا كنت قد درست خصائصه وارتكاساته تجاه هذه البيئة أو تلك، أما في العلوم الاجتماعية فإننا معنيون بذوات فاعلة سلوكها غير متوقع دائما.

ويختلف سلوك الأفراد تبعا للمعارف التي هي بحوزتهم عن الحالة التي هم بصدد مواجهتها أو التفاعل معها. وبالتالي يصبح الفرد فاعل كفئ. فمثلا لا يمكن التنبؤ بتصرفات العملاء

الاقتصاديين سواء منتجين أو مستهلكين فهم يرتبون بشكل دقيق فعلهم تبعا لمعارفهم عن الواقع الاقتصادي.

ويعتبر من أولئك الذين وفقوا في المزج بين البنائية الوظيفية والتفاعلية الرمزية أي المزج بين التفاعل والبنية ولقد أضاف عنصرا جديدا في هذه المسألة رافضا في ذلك التعارض الاعتيادي بين البنى الاجتماعية والتفاعلات حيث يقول بهذا الصدد: "ينبغي التفكير في مصطلحات ليست ثنائية أي تعارض التفاعل والبنية، ولكن ازدواجية تعكس التبعية المتبادلة بين الواحدة والأخرى"[1]، إذن يوجد تطبيقات اجتماعية وإعادة إنتاج هذه التطبيقات التي تتعلق بالأعوان الإنسانيين، وينبغي أن تحلل في مصطلحات الفعل، إذن من المحتمل إنتاج تغيرات، لكن مختلفة في المكان والزمان، أي مبنية على شكل تأسيسات، ويؤكد "جيدنز" أن البنية هي نتاج للتطبيقات الاجتماعية لكن كذلك البنية تمثل وسيلة لإعادة إنتاج تلك التطبيقات فالأسرة مثلا حسب هذا المنظار يمكن أن ننظر إليها على أساس أنها بنية ولم تكن كذلك لولا التطبيقات الاجتماعية التي تتمثل في الأدوار التي يمارسها أعضائها (الأب، الأم، الأولاد...) وتمثل هذه البنية بعد ذلك وسيلة لإعادة إنتاج تلك الأدوار بوتيرة تختلف نسبيا عن الأولى، فالازدواجية تعني وجود تبعية متبادلة بين البنية والتطبيقات الاجتماعية وليس تعارض.

إذا "جيدنز" فضل الحديث عن الملكيات البنائية للأنساق الاجتماعية أكثر من البنى واعتبرها كأنساق موارد.

تقييم:

إن مفهوم البنية لديه العديد من المعاني المختلفة التي تجعل منه ينحرف نحو البنائية بالمعنى الحصري للكلمة، انحراف يجعله صعب الفهم في ارتباطه بالفعل الاجتماعي، في معنى أكثر شمول ومقبول نوعا ما.

1- Philippe Bernoux, le changement dans organisations (entre structures et interactions), RI-IR, 2002, vol. 57, n 1_ISSN 0034-379X. p.80.

البنى الاجتماعية تدل على أنساق الإجبار والإرغام التي ترشد الفعل الفردي، لكن هذا التعريف يمكن أن ينحرف "إذا أضفنا لهذا الافتراض الفرضية القابلة للنقاش التي تنص على أن البنى تكفي في كل الحالات تحديد الفعل الفردي أي لا تدرك للفاعل في الحالة العامة أي هامش للاستقلالية"[1]. إن البنائية التي يمكننا إلا رفضها في المؤسسات والتنظيمات، الأفراد يخضعون للبنى، لكن هذه الأخيرة لا تلغي حرية الفعل لهؤلاء الأفراد، هذا هو المعنى الذي منحه "جيدنز" للبنية في رفضه للثنائية والتعارض بين المصطلحين (البنية والتفاعل).

ثالثا: ألان تورين:

يعتبر ألان تورين من أهم علماء الاجتماع المعاصرين. وهو فرنسي الأصل، من مواليد سنة 1925. اشتهر بتطويره مفهوم مجتمع ما بعد الصناعي، اهتم بدراسة الحركات الاجتماعية. يتميز بكتاباته النضالية وبالسوسيولوجيا الثورية. له عدّة مؤلفات من بينها: نقد الحداثة سنة 1998 Critique de la modernité، براديغم جديد: من أجل فهم عالم اليوم 2005، الحركات الاجتماعية، المجتمع ما بعد الصناعي، ما هي الديمقراطية؟، وعدة مؤلفات أخرى.

لم يكن تسجيل "ألان تورين" اسمه في الحقل السوسيولوجي اعتباطيا وتعسفيا أو صدفة من غير مبرر موضوعي، وإنما كان ذلك تأثراً منذ شبابه بأشكال عديدة من الرفض السياسي: رفض للحروب الاستعمارية «العبثية الأليمة»، ورفض لاشتراكية جي موليه «الخائنة»، ورفض لذلك الخيار الذي فرضه "مالرو" على المثقفين الفرنسيين بين الديجولية والحزب الشيوعي

فبناءً على هذه الظروف المقلقة، جعلت "تورين" مدفوعًا للانتماء بروح النضال، والرغبة في المشاركة، والحلم بتغيير العالم.

ويؤكد "تورين" على أن انتماءه للسوسيولوجيا ليس دافعًا شخصيًا، بل هو شرط موضوعي لقيام السوسيولوجيا كعلم. حيث يقول في هذا الخصوص: «إن يكن المرء عالم اجتماع

[1] -Raymond Boudon et Bourricaud, dictionnaire critique de la sociologie, PUF; 1982, p. 533.

اليوم، هو أن يتأمل شروط وجود مجتمع جديد، والطريقة التي يمكن بها للأزمة والقطيعة من جانب، والصراعات من جانب آخر، أن تتَّحد جميعًا لوضع تنظيم اجتماعي وثقافي جديد، من العبث الحلم بمجتمع مثالي مع نسيان التمزقات والانقلابات التي توشك على الحدوث.«

لكن أين الحل؟ إذن على المثقف ممارسة النقد لكي يحرر ذاته من أسرها ويمارس دوره التنويري: نقد الموروث القديم وتفكيكه، نقد الوافد الجديد وفرزه، ونقد الواقع المعيشي وتحليله، بمعنى آخر نقد الفكر ونقد المجتمع والسلطة معاً، على ألا يشكل النقد عنده، سلطة تصدر أحكاما أخلاقية مسبقة أو تعسفية مطلقة، وألا يكون أداة بيد أي سلطة.

الحركات الاجتماعية عند ألان تورين:

يعتبر من أهم الباحثين الذين ساهموا في دراسة موضوع الحركات الإجتماعية من زاوية نظرية ومن خلال البحث الميداني. وقد قام بعدة أبحاث حول عمال المناجم في الشيلي والحركات الاجتماعية في أمريكا اللاتينية، واهتم منذ مطلع السبعينات من القرن الماضي بما أسماه الحركات الاجتماعية الجديدة (الحركات الاحتجاجية الجهوية، الحركات النسوية، الحركة الطلابية...الخ). على المستوى النظري، اقترح Alain Touraine نموذجا نظريا لتحليل الفعل الإجتماعي المرتبط بظهور الحركات الإجتماعية، يساعد في آن واحد على إبراز بنية هذه الحركات. الشرط الأول لظهور أي حركة اجتماعية يتعلق بمسألة الهوية. لابد لأي حركة اجتماعية أن تتوفر على مجموعة من المبادئ يسميها الباحث مبادئ الوجود. وهي ثلاثة مبادئ أساسية[1]:

(1) **مبدأ الهوية**: يقصد به ضرورة تحديد الهوية الذاتية التي يمكن أن تكون متعددة ومركبة (مجموعة، طبقة، شريحة اجتماعية...الخ) وبمقابلها أيضًا يجب تحديد هوية الخصم.

(2) **مبدأ التعارض**: يفترض مبدأ التعارض في الحركة الاجتماعية تحديد الخصم، أي يجب أن يكون الخصم الذي تقوم عليه الحركة واضحًا وموضوعيًا. مثل: الحركة العمالية ضد تنظيم العمل، من أجل الاستقلال العمالي.

(1) ألان تورين، **نقد الحداثة**، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1997.

(3)**مبدأ الكلية:** ويقصد "ألان تورين" بهذا المبدأ أن تكون الحركة الاجتماعية مكونة من وعي جمعي وبصيغة جمعية وشمولية، لا أقلية وفردية من أجل النجاح في التأثير على الرأي العام والحصول على الحقوق والمطالب، لأنه إذا كانت هناك حركة كلية شمولية فمن المستحيل السيطرة عليها.

ويرى "تورين" أنّ المجتمع ما بعد الصناعي أو المجتمع "المبرمج" هو مجتمع المعرفة والمعلومة أساساً؛ فالإنتاج والنموّ لا يتوقّفان على تراكم رأس المال، بل يرتبطان بدوائر أكثر اتّساعاً في المجتمع مثل التعليم والمعلومة والاستهلاك...الخ.

رابعا: التفاعلية الرمزية:

ظهر التيار التفاعلي في أمريكا في الخمسينيات كرد فعل على هيمنة مزدوجة تمثلت آنذاك في تيارين: "بنائية بارسونز" و"تكميمية بول لازارسفيلد". تمخضت التفاعلية عن تعبير صاغه "هربرت بلومر" عام 1937. وعرفت انطلاقتها الحقيقية نهاية الخمسينات مع أعمال "هوارد بيكر"، و"انسلم ستراوس".

يركز هذا التيار على أن الواقعة الاجتماعية تتشكل ضمن دينامية المبادلات بين الأشخاص. كما يسلمون بأن الواقعة الاجتماعية ليست معطى، وإنما هي سيرورة تتشكل ضمن إطار التفاعلات الملموسة. هذه الفكرة التي قدمها في بداية الأمر عالم النفس الاجتماعي "هربرت ميد"، في دينامية المبادلات بين الأشخاص، من خلال المعنى الذي يعطيه الأفراد لأفعالهم.

أنصار التفاعلية يتبعون النهج الاثنوغرافي ويبنون تحليلاتهم عن طريق الملاحظة المباشرة والمشاركة، إذ جعلوا بذلك قطيعة مع المقاربات الكمية، والمثال على ذالك ما قام به "غوفمان" عندما التحق بإحدى المستشفيات العقلية لمدة تزيد عن السنة في واشنطن واخرج كتابه الشهير "المصحات العقلية".

غوفمان ومسرح الحياة اليومية: يركز على التفاعلات المباشرة وتأثيرها على تشكيل شبكة الاجتماعي وكذا كيفية ضبط التفاعل عن طريق طقوس التفاعل (الايتيكات)، التي يقدم من خلالها الفرد صورة وانطباع حسن عن نفسه، وبذلك يقدم التفاعل من خلال كتابه: "تقديم الذات" على أنها عرض مسرحي يلعب فيه الأفراد ادوار "الممثلين" وتلعب العلاقات الاجتماعية دور "التمثلات". يتظاهرون من خلاله أنهم يأخذون الآخرين على محمل الجد خوفا من فقدان ماء الوجه.

فقد حلل التفاعلات الاجتماعية وطقوس اللياقة والمحادثات وكل ما يشكل شبكة العلاقات اليومية ونظر إلى التفاعل كمنظومة تتأسس من خلاله الثقافة ، تمتلك هذه المنظومة معايير واليات للتنظيم تفرض نوع من الالتزام لكل من يدخل في النقاش ليكون الفاعل صورة لائقة عن نفسه، ويتعاون الجمع على "نمط التوافق السطحي"

غارفنكل والمنهجية الاثنية: من خلال كتابه دراسات في المنهج الاثني أسس من خلاله تيار جديد في التفاعلية، متأثرا بأفكار "الفريد شوتز" الذي ركز على المعنى الذي يعطيه الأفراد لأفعالهم، أما "غارفنكل" فقد قام بدراسة حول كيفية تصرف المحلفون في مدرسة الحقوق بشيكاغو، ودرس الشاب "آنييس" الذي غير جنسه مستعملا المنهج الاثني.

قواعد للتفاعلات: لكي تتجاوز التفاعلية التحليل الوضعي والوصفي للعبة التفاعلية حاولت أن تضع بعض المبادئ المعيارية التي توجه التفاعلات، وكذا إحصاء البنى العميقة للتفاعل تحت مسمى: "تصرفات تأويلية"، وكذا دراسة المحركات الأساسية للمحادثات اللغوية (كيف يبدأ الحديث، كيف ينتهي، كيف يتسلسل ترابط الكلام وأدواره).

خامسا: مدرسة شيكاغو

انبثق اسم المدرسة من جامعة شيكاغو التي تأسست في القرن 20. من أبر مؤسسي مدرسة شيكاغو وليام توماس، ، روبرت بارك، لويس ويرث

كانت أول دراسة أمبيريقية تحت إشراف مدرسة شيكاغو بعنوان: "الفلاح البولندي في أربا وأمريكا[1]" بإشراف "وليام توماس" 1917. ومساعده "فلوريان تزانيكي" والتي نشرت في كتاب ضخم مؤلف من خمس مجلدات، ومخطط الكتاب هو وصف مسار زمرة اجتماعية: في المجلد الأول والثاني تم التركيز على: الحالة البدائية (العائلة الفلاحية، النظام الاجتماعي، الحالة الاقتصادية في بولونيا). في المجلد الثالث والرابع التركيز على: خلل التنظيم عند الجماعات الأولية (العائلة، جاليات العمل)، الذي قاد البعض إلى ترك بلدهم ، في المجلد الأخير تم التطرق إلى: طور الاستقرار في أمريكا الذي يتصف بإعادة تشكيل الجالية وباضطراب تنظيمها: فساد الأخلاق، اضطراب الاستقرار العائلي، ثم جنوح الجالية بخصوص بعضها.

مهد لتأسيس مدرسة شيكاغو كل من: "المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع" 1895 وكذا "الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع" 1905 ومن بين أهم الأسس والمبادئ التي قامت عليها:

- ✓ كانت تحبذ تناول البحوث الكمية والكيفية على حد سواء.
- ✓ أشرفت على إنشاء أول واكبر قسم علم الاجتماع في العالم.
- ✓ انصب اهتمامها على انجاز أوسع البرامج البحثية في علم الاجتماع إذ لم يكن اهتمام هذه البرامج ينصب على الجوانب العلمية فقط وإنما أيضا الجانب التنظيري.
- ✓ اهتموا بنماذج التنظيم الاجتماعي.
- ✓ ساهمت في تطوير أول نظرية في علم النفس الاجتماعي هي نظرية التفاعلية الرمزية.
- ✓ تقلصت هيمنتها خلال الثلاثينيات مع وظيفية "تالكوت بارسونز".
- ✓ اهتمت بظاهرة التحضر ومنها أسست لظهور فرع علم الاجتماع الحضري.

---

(1) فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه، **علم الاجتماع من الشؤون الكبرى إلى الحياة اليومية أعلام وتواريخ وتيارات**، ترجمة: إلياس حسن، دار الفرقد، سوريا، 2010.

✓ المنهجية المعتمدة هي البحث الامبيريقي باستخدام المذكرات الشخصية، تاريخ الحياة، تحليل الخطاب

ومستوى تحليلها ينطلق من الفاعل الاجتماعي.

سادسا: المنظور الاثنوميثودولوجي في علم الاجتماع

ظهر مصطلح الاثنوميثودولوجيا مع العالم الأمريكي "هارولد جارفنكل*" عندما نشر مجموعة من المقالات عام 1967، جمعها في مجلد بعنوان: "**دراسات في الاثنوميثودولوجي**[1]". يتكون المصطلح ذو الأصل اليوناني من مقطعين Ethno تعني الشعب أو القبيلة أو السلالة، Methodology وتعني الطريقة أو المنهج، وبالتالي يصبح بمعنى دراسة المناهج الشعبية أو الطرق التي يستخدمها الناس في تكوين الحقيقة الاجتماعية.

يعد هذا المنظور من أحدث الاتجاهات المعاصرة في علم الاجتماع، إلا انه يشوبه نوع من الغموض من خلال صعوبة بعض المفاهيم التي يستخدمها متأثرا بالفلسفة الظاهراتية.

تتجلى أهمية هذا المنظور من خلال مواقفه النقدية تجاه نظريات علم الاجتماع الأخرى ونقد أساليب البحث التي استخدمتها وخاصة الاتجاه الوضعي في علم الاجتماع، ومحاولة تطوير أساليب بحث جديدة. وتميزه بالتساؤلات التي طرحها خاصة فيما يتعلق بتصوره الجديد للواقع وتصوره لطبيعة الإنسان وقدراته.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الوعي يعد الوسيلة الأساسية لفهم العالم، إذ لا يمكن تحقيق الفهم لأي موضوع إلا من خلال وعينا بذلك الموضوع، فجوهر الأشياء هو الإدراك من خلال الشعور عن طريق الخبرة بالعالم.

عرف لنا "جارفنكل" الاثنوميثودوجي بأنه استقصاء الخصائص العقلية لمجموعة التعبيرات والأفعال العلمية التي تتم أثناء الحياة اليومية وبعبارة أخرى يشير إلى دراسة المعاني التي يعطيها الناس لكلماتهم وأنماط سلوكهم.

* ولد في 1917 حصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد.

(1) طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات، مرجع سابق، ص150.

طور أصحاب هذا الاتجاه مفهومين أساسين هما "الفعل المنعكس" و"البيئة المرتبطة بالمعنى"

الفعل المنعكس: يشير إلى أن كثير من أنماط التفاعل داخل المجتمع تهدف إلى المحافظة على رؤيا معينة للحقيقة الاجتماعية التي قاموا بتشكيلها في مواقف محددة.

البيئة المرتبطة بالمعنى: التفاعل بين أعضاء المجتمع يتضمن معان تدركها عقولهم مباشرة لديها دلالات ومغزى يرتبط بموقف معين أو بيئة ذات ظروف معينة، ومن الصعب تفسير الاتصال الرمزي بين الجماعة دون الحصول على معلومات حول البيئة أو الموقف التي تشكلت فيها تلك المعاني والدلالات والرموز.

يركز هذا المنظور على دراسة الحياة اليومية من خلال فهم المواقف الاجتماعية ويعتبرونها متساوية في الأهمية لأنها تمدنا بالبيانات المتعلقة بالقواعد غير المكتوبة في المجتمع.

يضيفون أهمية الاهتمام بدراسة التغير الاجتماعي على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغرى لان تشكيل الحقيقة الاجتماعية تعد عملية مستمرة من التفسير نظرا لان مواقفهم حول تعريف مظاهر الحياة تعد عملية دينامية وغير ثابتة.

يرى "جارفنكل" أن وظيفة عالم الاجتماع هي محاولة التعرف على الجوانب الخفية في الحياة الاجتماعية، تلك الجوانب التي لا نشعر بها لأنها تبدو مألوفة لدينا ويمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق مخالفة القواعد بطريقة مفاجئة إذ أن مخالفة المألوف من شانها أن تكشف عن وجوده.

يبدو أن هذا المنظور قدم إسهام منهجي من خلال تطوير بعض المناهج التي تستخدم في البحث السوسيولوجي مثل "المنهج التوثيقي" و"المنهج شبه التجريبي" الذي أطلق عليه "جارفنكل" التجربة الاثنوميثودولوجية، بالإضافة إلى تفضيل الأسلوب الكيفي الذي يعمل على استخدام الملاحظة بالمشاركة.

تقييم للمنظور الاثنومثودولوجي: على الرغم من نجاح هذا المنظور في تحقيق قدر من الانفصال عن النظريات التقليدية في علم الاجتماع إلا انه فشل إلى حد كبير في تقديم افتراضات مترابطة حول طبيعة النظام الاجتماعي، بالإضافة إلى تسليمه ضمنيا بثبات البناء الاجتماعي وتأكيده للموقف التفاعلي دون الالتفات إلى الأنساق الكبرى في المجتمع لأنه يعتبر أن مبادرة التغيير تتم فقط من الفاعل وليس من النسق.

المحور السابع: منهجية المعرفة السوسيولوجية

لعل من الضروري مساءلة السوسيولوجيا كما تمارس اليوم من طرف العقل* الذي قد يشمل كل منهج في المعرفة قائم على الحساب والمنطق. كل منهج مستعمل لحل المشاكل المطروحة على الفكر بدلالة معطيات تميز وضعية ما أو ظاهرة ما[1].

إذ يتعين على عالم الاجتماع كما يرى "بودنR.Boudon": «استخدام منهج يدرس الأفراد الفاعلين الموجودين في نسق للتفاعل، باعتبار أن هؤلاء الأفراد هم الذرات المنطقية لتحليله...ولا يمكن لعالم الاجتماع أن يكون مقتنعا بنظرية تدرس (تجمعا، طبقة، جماعة، أمة) باعتباره الوحدة الأساسية التي تهبط إليها النظرية...أو أن يكون مقتنعا بجهد يقوم به لتحليل ردود أفعال الأفراد حيال القيود التي يفرضها النسق[2]».

أولا: مناهج علم الاجتماع

المنهج: هو الطريق الصحيح للوصول إلى الهدف، وهو يقظة إبستمولوجية (معرفية) يتكون من ثلاث فروع (أبعاد) متكاملة[3]:

* قريبا من مصطلح العقل يحدد "ادغار موران" العقلانية: بوصفها رأية للعالم تؤكد على الاتفاق الكلي بين ما هو عقلي (التناسق) وواقع الكون، فهي إذن تقصي من الواقع كل ما هو ليس عقليا، وكل ما ليس ذا طابع عقلي.

(1) ادغار موران، **العقل والعقلانية**، دفاتر فلسفية- نصوص مختارة، إعداد وترجمة: محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، دار طوبقال للنشر، المغرب، ط2، 2007، ص06.

(2) مصطفى خلف عبد الجواد، **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، دار المسيرة، عمان، ط1، 2009، ص466.

(3)عبد الرحمان بوزيدة، مرجع سابق.

- ✓ بعد إبستمولوجي معرفي تبريري (مادة اليقظة) يعتمد على طرح الأسئلة التالية: ماذا؟ بماذا؟، إلى أين؟. ويتم التساؤل في كل مرحلة من مراحل البحث.
- ✓ بعد عقلاني انسجامي لخطوات البحث (الضرورية) ويشمل المراحل أي الخطوات الأساسية البحث.
- ✓ التقنيات اللازمة والملائمة لهذا البحث

والمنهج هو تفاعل هذه المحاور الثلاث، يعتمد في البداية على نوع من التيه الايجابي، الذي يخلق توترا وهاجس وحيرة وقلق لدى الباحث. وفي ضوء هذا الطرح العام (الإطار العام) تعددت المناهج في علم الاجتماع نذكر منها:

1/ منهج التحليل المتعدد المتغيرات

2/ منهج تحليل المحتوى

3/ منهج التحليل النسقي

4/ المنهج الاثنوميثودولوجي

5/ المنهج الوصفي

6/ المنهج الاحصائي

7/ منهج جديد (انتوني جيدنز) حاول من خلاله إعادة تأسيس علم الاجتماع

وقد حاول "بورديو" في كتابه مهنة عالم الاجتماع صياغة ما سماه المنهج المكتمل من خلال الجمع بين المنهج الفهمي لماكس فيبر والمنهج المقارن لـ"دوركايم" والمنهج الجدلي الماركسي*.

* الماركسية مذهب فكري ومنهج "علمي"، وضعه كل من "كارل ماركس" (1818-1883) و"فريديك أنجلز" (1820-1895) في القرن التاسع عشر. وقام أتباعها منذ القرون الماضية بتطوير وتنقيحه. ويطلق لفظ "الماركسية" على كل الأطروحات الأكاديمية والسياسية والحركات الثورية التي تنطلق من التصورات والأيديولوجيا التي تبلورت على يدي مؤسسي الماركسية، وتطورت من خلال التنقيحات والإضافات والمراجعات المتلاحقة على مر السنين. وتعتبر الماركسية في نهاية المطاف، فلسفة ذات أسس محددة، ومنهجا علميا فريدا، فضلا عن كونها دليل عمل حركي يتوفر على إستراتيجية خاصة.

ثانيا: خصائص الملكة السوسيولوجية

حدد "**بيار بورديو**"*في كتابه: **مهنة عالم الاجتماع** (Le métier de Sociologue) وطرح الأسئلة التالية ليجيب عليها:

ما هو علم الاجتماع ؟. لمن نسب علم الاجتماع ؟. ما هي الأعمال التي يقوم بها علماء الاجتماع ؟. أين يعمل علماء الاجتماع ؟. على ماذا يعمل علماء الاجتماع ؟.

ويجيب "بورديو" أن علم الاجتماع: هو الدراسة العلمية للعلاقات الاجتماعية والأفعال والمتمثلات التي من خلالها يشكل المجتمع.

ويضيف يركز هذا الحقل المعرفي على فهم الكيفية التي يسير ويتغير بها المجتمع، ويركز علم الاجتماع حسب "بورديو" على: العلاقات بين الأفراد والمجتمع، مسار الحياة، الأفعال الاجتماعية كـ: (العمل والعلم). والحركات الاجتماعية، المجموعات الاجتماعية مثل: (العائلات وشبكات الأصدقاء). والتنظيمات مثل: (المدارس والمؤسسات والمجتمعات بأكملها من خلال جوانبها الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية والسياسية والاقتصادية والرهانات المخططة مثل الهجرة العالمية أو البيئة).

---

* يعد "بيير بورديو" (2002 – 1930) عالم الاجتماع الفرنسي الشهير وأحد أبرز الأعلام الفكرية في القرن العشرين. يحتل مكانة مميزة في حقل الدراسات الإنسانية. شهد علم الاجتماع على يديه إبداعا علميا رائعا، وتجديدا فكريا حقيقيا في المصطلحات والمضامين والدور والأهداف. فقد أحدث الرجل في تحليله للظواهر السياسية والاجتماعية والثقافية تغييرا في حقل الدراسات الثقافية والأبحاث الاجتماعية النقدية وفي مفهوم علم الاجتماع نفسه. درس بورديو الفلسفة في مدرسة المعلمين العليا في باريس ونال فيها شهادة الأستاذية في الفلسفة في عام 1954م. أطلع على أعمال (ماركس) (وجان بول سارتر) توجه نحو دراسة المنطق وتاريخ العلوم ثم تابع حلقة دراسية في التعليم العالي حول فلسفة الحق عند هيجل. ولكن، بعد تجربة قصيرة له كأستاذ في إحدى الثانويات، دعي من= = قبل المكتب النفسي للجيوش في مدينة فرساي ولكن لأسباب تأديبية أرسل بسرعة إلى الجزائر في إطار إحلال السلام حيث أدى هناك القسم الأساسي من خدمته العسكرية. ومن 1958الى1960م تمنى أن يتابع دراساته عن الجزائر. فدرس في كلية الآداب في الجزائر واهتم بالدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية وكتب بعد عودته إلى فرنسا مباشرة كتابا بعنوان (سوسيولجيا الجزائر). ثم أصدر كتابا آخر بعنوان (أزمة الزراعة التقليدية في الجزائر). وبدأ يدرس الفلسفة في السوربون ثم أصبح مديرا لقسم الدراسات في مدرسة الدراسات العليا، ثم مديرا لمعهد علم الاجتماع الأوربي، كما انتخب عام 1982م لكرسي علم الاجتماع في «الكوليج دو فرانس»وهي أعلى هيئة علمية في فرنسا. وكانت محاضرته الافتتاحية في «الكوليج دو فرانس» بعنوان "درس في درس" وقد جال فيها بجدارة في ميادين النقد الاجتماعي والسياسي والتربوي والنفسي وختمها بالتحذير من ظاهرة التسامي الزائف التي تنشأ عن إساءة استخدام المعرفة. وهكذا ظل يدرس ويحاضر فيها لغاية عام 2001م. ومن المفاهيم الأساسية التي استخدمها بورديو في تحليله: «إعادة الإنتاج» و«الحقل» و«رأس المال الرمزي» و« العنف الرمزي» و«العرف» و«الانعكاسية».

حقول تطبيق علم الاجتماع؟: هو تخصص يعني مجموعة من مناهج المعاينة وطريقة في التفكير وإطار تحليلي في تطور، التي تطبق على مجموعة لا منتهية من الظواهر الاجتماعية خاصة الهوية والمواطنة، الاندماج الاجتماعي والتفكك، هجرة الشعوب، استراتيجيات وجود الدول السائرة في طريق النمو، تحول العادات والقيم الاجتماعية، والتكنولوجيات الأخرى، إحياء الدين أو إعادة إنتاجه، التحولات في شروط العمل الصحة العمومية، نمو اللامساواة في سوق العمل العلاقات المتبادلة بين الخاص والعام، موجات الموضة والثقافة الشعبية...الخ.

بما يقوم علماء الاجتماع؟ : يقومون بتحليل المعلومات التي تساهم في التطور الاجتماعي معتمدين على الوثائق، المقابلات، الاستمارات، سيرة الحياة، دراسة الحالة، التحليل الإحصائي تحليل الخطاب، تحليل المحتوى، تقييم النماذج والسياسات، تنسيق المشاريع، تقديم الاستشارة التعليم ما بعد الثانوي، نشر المقالات والأعمال العلمية، إنتاج المعرفة...الخ[1].

وقد حاول "بيار بورديو"، الجمع بين المنهج الفهمي لماكس فيبر، والمنهج المقارن لـ"دوركايم" والمنهج الجدلي* لـ"كارل ماركس"، على اعتبار أن ما يجمع علماء الاجتماع هو ملكة أو ما يسميه هو بالهابيتوسHabitus**، أي نسق من شيمات للإدارك

---

[1] B.Bordiou,et allia, **Le mité de Sociologue**: bordas, paris, 1968.p04.

* يعني مصطلح الجدلي Dialectique، عند **ماركس**: تطور التاريخ وفق قانون المتناقضات فالرأسمالية: **"فرضية"** تنتج حتما نقيضها لأسباب داخلية كامنة فيها منها (الأزمة الاقتصادية) ، والنقيض هو الاشتراكية: **"نقيض الفرضية"**، ومنه ظهور الشيوعية لتحقق **"التركيب"** بين المتناقضين.

** هابتوس كلمة يونانية مشتقة من الفعل اللاتيني(habere)، ويعني فعل الملكية/التملك (Avoir) .استعمله أرسطو (384-322 ق.م) والذي أعطاه معنى طريقة الوجود الثابتة والتي يصعب تعديلها أو تحويلها. كما استعمله طوما الاكويني (1225-1274) والذي أعطاه معنى العادة، وفي الميدان الطبي يستعمل بمعنى العرض كهبتوس السل (teberculeux) ، هابتوس البلورات لوصف شكلها الهندسي، هابتوس الكوارتز مثلا، أما في الحقل السوسيولوجي فقد استعمله إميل دوركهايم (1858-1917) في كتابه التطور البيداغوجي بفرنسا بمعنى الطبع واستخدمه مارسيل ماوس (1872-1950) في حديثه عن تقنيات الجسد ضمن مؤلفه الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا بمعنى العادة (habitude)، وعادة الاكتساب (Habitude d'acquisition) .الهابتوس بالنسبة لبورديو "نسق من الاستعدادات الدائمة والقابلة للتحويل أو النقل (transposable)، بنى مبنية مستعدة للاشتغال بصفتها بانية، أي كمبادئ مولدة ومنظمة لممارسات وتمثلات.وبصيغته العامة هو المجتمع وقد حل واستقر في الجسم عن طريق سيرورة التربية والتنشئة الاجتماعية والتعليم والترويض، المجتمع (هنا)، بكل قيمه وأخلاقياته، بكل محددات السلوك والتفكير والاختيار... إنه ذلك التاريخ الذي يسكن الأشخاص في صورة نظام قار للمؤهلات والمواقف" الهابتوس إذن نسق من استعدادات دائمة وقابلة للتناقل (transposable)، اكتسبت اجتماعيا وتجدرت عميقا في الذات، تشمل على الأقل ثلاثة أبعاد أساسية: بعد نفسي وجداني (الاختيار، الميولات، الأذواق) بعد عقلي منطقي (الأفكار، مبادئ الفهم والتفسير...)، بعد أخلاقي عملي (الأفعال، القيم...) إنه مؤشر على الأصل أو الوسط

الحسيperception ، "للتقويمappreciation ، و"الفعل" action أي مجموعة المعارف التطبيقية المكتسبة عبر الزمن والتي تمكننا من الإدراك، والتصرف والتقييم في فضاء اجتماعي معين.

نخلص إذن إلى القول بأن "الهابتوس" يتحدد بخاصيتين أساسيتين:

-كونه بنية تبنى انطلاقا من الفضاء الاجتماعي في وضع سوسيوتاريخي معين.

-كونه بنية بانية انطلاقا من فاعلية الفرد داخل الفضاء الاجتماعي في المساهمة في إعادة إنتاج هذا الفضاء.

وأعطى "بورديو"، خصائص الملكة السوسيولوجية نلخصها كما يلي:

1. **تفسير الاجتماعي بالاجتماعي:** على اعتبار أن هذا المبدأ هو مبدأ جامع في كل العلوم – فيفسر الاقتصادي بالاقتصادي في الاقتصاد، والفيزيائي بالفيزيائي في الفيزياء، والرياضي بالرياضي في الرياضيات...وهكذا- ويرتكز هذا المبدأ على ضرورة اختيار متغيرات اجتماعية لتفسير الظواهر الاجتماعية، لكي نثبت شرعية التخصص ولا نفسر خارج إطار التخصص.
2. **مبدأ لا شفافية الواقع الاجتماعي:** وهذا المبدأ أيضا هو خاص بكل المعارف العلمية، إذ لا توجد معرفة إلا لما اختفى.
3. **مبدأ وجود العلة في معلولها:** وأنها تترك آثار يمكن من خلالها معرفتها واكتشافها، وهي تلزمه وجودا أو عدما.
4. **لا توجد طبيعة إنسانية ولا طبيعة اجتماعية:** إذ أن المبدأ الوحيد الثابت هو التغيير، ولا يمكن جعل التطورات التاريخية كأشياء طبيعية لا تتغير.

الاجتماعي، يقول بورديو حول وظيفة هذا المفهوم «إن إحدى وظائف مفهوم الهابتوس الأساسية هي التخلص من منزلقين متكاملين: النزعة الآلية (mécanisme complémentaires) والتي تعتبر أن الفعل (action) هو نتيجة آلية لإكراهات أسباب خارجية، ومن ناحية أخرى النزعة الغائية (le finalism)، والتي تعتبر خصوصا مع نظرية الفعل العقلاني أن المفوض(agent) ، يتصرف بشكل حر وواع».

5. **مبدأ الابتعاد عن تفسير الظواهر الاجتماعية المعقدة بمتغيرات بسيطة:** وهذا المبدأ يطالبنا بالتعمق في الظاهرة والبحث عن أسبابها الحقيقية والتي تكون في الغالب كامنة فيها ومخفية وليست ظاهرة.

6. **مبدأ أسبقية النظري عن غيره***: فالملاحظة والتجربة تكاد لا تعني شيئا وحدها، وكأن البصر لا يرى بل البصيرة (العقل) هي التي ترى، أو بمعنى آخر النظرية، لأنه في العلوم التجريبية تتجسد النظرية في الجهاز الذي يعمل به الباحث "ميكروسكوب"، أما في علم الاجتماع فالميكروسكوب الاجتماعي هو النظرية، وحتى لو أعطي الميكروسكوب للإنسان العادي فانه لا يستطيع أن يميزه لكن الباحث يميزه لأنه مدعم بمعرفة مسبقة سواء عن طبيعة الجهاز أو التقنية المستخدمة في البحث أو عن طبيعة الشيء المبحوث عنه، إذ لا يمكن للباحث السوسيولوجي أن يلاحظ إلا إذا كان مدعما بنظرية توجه بصره[1].

لعله يفهم على المنحى العام أن استخدام النظرية هو أن ننزل بها إلى الواقع الملموس ونستنطقه من خلالها باستخدام الأدوات والتقنيات ومنهجية تعتبر الوسيلة الوحيدة لا غير لإنتاج خطاب سوسيولوجي علمي؟. ولكن قد يتساءل البعض: ماذا نفعل بالكتابات والمساهمات الفكرية التي أنتجت في حقل العلوم الاجتماعية ولم تستعمل هذه التقنية بل قد تكون مناهضة لها؟.فهدف المقاربة السوسيولوجية يتحدد في الاقتراب من الواقع ومحاولة فهمه وتحليله بطريقة موضوعية.

وهناك طروحات أخرى ترى أن الفكر والواقع لا يلتقيان أو يلتحمان، وكأن الدراسة التي تسعى لأن تكون علمية هي تلك التي تحدث القطيعة مع الفكر وتنشغل بالواقع، بحجة أن

---

* المدرسة الانجلوسكسونية: تري عكس ذلك وتدعو إلى أنه يجب أن نترك الواقع ينعكس كمرآة، إذ أن العارف لا يفعل شيئا في الموضوع المعروف ليصل إلى المعرفة المكتملة ولكن تبين محدودية جدوى هذا الطرح، مع وجود أفكار أخرى تسيطر على الفكر وتوصلوا إلى ضرورة أن تكون العين متحكم فيها من طرف العقل ولذا فمن الأفضل وجود النظرية، لكي يبصر الباحث عن طريق تلك النظرية.

[1] عبد الرحمان بوزيدة، مرجع سابق.

الانشغال بالفكر هو من اختصاص الفلسفة، وبالتالي يدعو أصحاب الاتجاه الامبيريقي في التحليل السوسيولوجي إلى إحداث القطيعة مع النظرية وترك الواقع يعبر عن نفسه بنفسه.

ثالثا: تقنيات البحث السوسيولوجي

يطلق العلماء على الطريقة العلمية التي يسلكونها من أجل إنتاج المعرفة العلمية والتحقق من صدقها: **خطوات المنهج العلمي**، أو "**المنهجية**" (Méthodologie)، والتي تعرف على أنها: «تعني مجموعة المناهج والتقنيات التي تسهم في بلورة البحث وقيادة خطواته العلمية[1]».

ويُعرفها كل من "**فينزجيرالد**" و"**كوكس**" (Fitzgerald) &(Cox)، بقولهما هي: «تطبيق المنهج العلمي في دراسة الظواهر والحوادث[2]».

قبل الحديث عن العلاقة بين المنهج العلمي والبحث بشكل عام، والتقنيات بجدر بنا معرفة مفهوم تقنيات البحث، وتحديد أنواعها، وأهميتها بالنسبة للبحث العلمي ليسهل تصور علاقتها بالبحث.

1. مفهوم وأنواع التقنيات:

تشمل التقنيات مختلف الوسائل التي يلجأ إليها الباحث قصد التعامل مع الواقع، وجمع المعطيات التي يتطلبها بحثه، فهي جملة الإجراءات وأدوات الاستقصاء التي تستعمل بشكل منهجي ومنظم من أجل جمع المعطيات الأولية (Données primaries)، أي تلك البيانات الجديدة التي يتحصل عليها الباحث بنفسه، والمعطيات الثانوية (Données secondaires) والتي تضم بيانات تستند إلى معطيات موجودة من قبل.

---

[1] Maurice Angers: **Initiation pratique a la méthodologie des sciences humaines**, Ed Casbah, Alger, 1997, p58.

[2] علي شتا، **المنهج العلمي والعلوم الاجتماعية**، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 1997، ص16.

وفي الغالب هناك ستة أنواع من التقنيات:

وهي: "**الملاحظة**" و"**المقابلة**" و"**الاستبيان**" بما فيه ذلك "**سبر الآراء**" و"**التجريب**"، وتستعمل هذه التقنيات الأربع لجمع معطيات أولية، وهي تعتبر تقنيات مباشرة، يقوم فيها الباحث بنفسه بالتعامل مع مصادر البيانات سواء وجها لوجه، أو عن طريق أي وسيلة اتصال متاحة وملائمة .

1- الملاحظة:

إن كل بحث أو تطبيق ذي طبيعة علمية في العلوم الاجتماعية كما في العلوم عامة، يجب أن يشتمل استعمال طرائق إجرائية دقيقة ، محدّدة جيّدا ، قابلة للنقل ، قابلة للتطبيق من جديد في الشروط نفسها ، ملائمة لنوع المشكلة والظواهر موضوع البحث ، هذه هي التقنيات ، إن اختيارها مرتبط بالهدف المقصود ، المرتبط هو الآخر بالمنهج ، وينشأ هذا الارتباط المتبادل غالبا خلط بين مصطلحي التقنية والمنهج اللذين من المناسب التمييز بينهما ، إن التقنية مثل المنهج ، جواب عن كيف ؟ إنّها وسيلة لبلوغ هدف ، فهي أدوات يضعها المنهج في خدمة البحث ، وينظمها لتحقيق هذا الهدف ، وهي محدودة العدد ويشترك فيها معظم العلوم الاجتماعية.

"قد يتبادر إلى ذهن البعض أن الملاحظة حدث عادي وعابر ، فكل إنسان يلاحظ ما يدور حوله ، وبالتالي لا علاقة لها بالبحث العلمي وهذا ليس صحيحا ، ذلك أنّ هناك فرق بين الملاحظة العادية المعروفة والتي تعني الانتباه العفوي إلى الظواهر التي يصادفها الإنسان خلال ساعات صحوته ، وبين الملاحظة العلمية التي تكون مركزة ، ومنظمة وموجهة للظواهر بغية دراستها ، وهذه الأخيرة هي الملاحظة العلمية التي تحتاج إلى تخطيط مسبق ووعي وتدريب على إجرائه ، حيث أن الملاحظة العلمية هي المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما ، مع

الاستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلاءم مع طبيعة الظاهرة ، والملاحظة في البحث الاجتماعي الميداني تصاحب البحث من أوله إلى آخره"[1].

"وتكمن الميزة الأساسية للملاحظة في كون أن طريقتها مباشرة ، فهي تمكن الباحث من دراسة السلوك أثناء حدوثة ، حيث أنه لا يضطر الباحث إلى توجيهه الأسئلة للأفراد حول سلوكهم الشخصي أو حول أفعال الآخرين ، وإنما يستطيع ببساطة مراقبة الأفراد عندما يقومون بأفعال معينة، هذا بدوره يمكن الباحثين من جمع بيانات من الدرجة الأولى وبالتالي منع العوامل الملوثة التي تقف بين الباحث وبين موضوع البحث ، فعلى سبيل المثال عندما يطلب من الأفراد الإخبار عن سلوكهم الماضي ، فقد تلوث الذاكرة البيانات بشكل كبير في حين أنه يمكن إزالة أثر انحراف الذاكرة على البيانات السلوكية المجمّعة من خلال طرائق الملاحظة"[2].

يضاف إلى أن بعض طرائق جمع البيانات الأخرى تدخل عناصر اصطناعية إلى بيئة البحث ، إلا أن البيانات المجمعة بواسطة الملاحظة تصف الظواهر عند حدوثها في مواقع طبيعية.

ويمكن للباحثين استخدام طرائق الملاحظة عندما لا يرغب الأفراد بالتعبير عن أنفسهم لفظيا ، لاسيما وأن الملاحظة مقارنة بالتقارير اللفظية تتطلب انشغالا أقل من جانب الأفراد تحت الدراسة ، يضاف إلى ذلك أنه يمكن للباحثين من خلال الملاحظة التيقن من صحة التقارير اللفظية وذلك بمقارنتها بالسلوك الفعلي ، إضافة إلى أن العلاقة بين الشخص وبيئته لا تتبدل في دراسات الملاحظة حيث يستطيع الباحث ملاحظة أثر البيئة على الأفراد موضع البحث.

---

[1] ابراهيم ابراش:**المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**، ط1 ، عمان, الأردن: دار الشروق ، 2009 ، ص261.

[2] شافا فرانكفورت ، دافيد ناشيماز: مرجع سابق ،ص213.

ومن المهم أن نتذكر أن الملاحظة تأخذ الكثير من الأشكال ، فهي تتضمن التجارب السببية والأدوات المخبرية المتقدمة مثل شاشات العرض وكاميرات الفيديو ، تجعل هذه التعددية من الملاحظة طريقة مناسبة لأغراض بحثية متنوعة ، يوظف الباحثون طرائق الملاحظة في البحث الاستكشافي للوصول إلى رؤيا عميقة حيث يمكن اختبارها لاحقا كفروض للبحث ، ويمكن توظيف الملاحظة كذلك عند جمع بيانات إضافية لتفسير أو للتحفظ على نتائج تم الحصول عليها بطرائق أخرى ، أو كطرائق أولية لجمع البيانات في الدراسة الوصفية.

وحتى تكون الملاحظة علمية وتصلح كأداة لجمع المعلومات ومراقبة الظواهر المدروسة يجب أن تتوفر على شروط أهمها:

"الانضباط والتنظيم حيث أنه لابد أن تعتمد على مشكلة تشغل البال ، وفرضية أو فروض يهتدي بها الملاحظ في ملاحظته.

كما يجب أن تكون الملاحظة موضوعية وذلك من خلال عدم الانسياق وراء الأفكار المسبقة أو الفروض الأولية في حالة عدم تطابقها مع الحقيقة الملاحظة.

كما أنه لابد أن تكون الملاحظة دقيقة كمّا وكيفا فعلى الباحث أن يلجأ إلى القياس كلما أمكن ذلك ، كما يجب عليه أن يحرص على منطقية ملاحظاته وانسجامها.

ويجب أن يكون الملاحظ مؤهلا للملاحظة مستعدا لها وقادرا على القيام بها ، أن تتوفر لديه القدرة على الانتباه والتركيز على كل ما يتوجب ملاحظته"[1].

ويجب أيضا تسجيل الأمور الملاحظة بأسرع ما يمكن ، وفي الحال إن أمكن حيث أن الاعتماد على الذاكرة أمر غير مضمون.

ولا بد أن يكون التخطيط للملاحظة مسبق ، وتدريب الملاحظ عليها ، والتأكد من امتلاكه المعارف اللازمة للقيام بها.

---

[1] ابراهيم أبراش: مرجع سابق، ص 262.

كما أنه من الواجب أن يستعين الملاحظ بكل وسيلة أو أداة تعينه على دقة الملاحظة وضبطها مثل : آلة تسجيل ، أو مصورة ...الخ.

ومن بين الأمور التي لابد من الاعتماد عليها أثناء استعمال الملاحظة هي:

مراقبة السلوك: حيث يتعلق هذا الاعتبار ب ماذا نلاحظ ، حيث ينقسم السلوك إلى أربعة أقسام هي: السلوك غير اللفظي (مثل حركات الجسد وتعابير الوجه) ، السلوك المكاني : (مثل ملاحظة أفراد ينظمون مكان محيط بهم من خلال ضبط كمية المسافة الشخصية)

السلوك فوق اللغوي : (مثل الجوانب الوصفية للكلام كمعدل الكلام والميل إلى المقاطعة)

"السلوك اللغوي : أي فحوى الحديث وخصائص الكلام.

"وأما الجانب الثاني فيتعلق **بتوقيت الملاحظة وتدوينها** ويتم ذلك باتّباع جدولة معاينة الزمن وهي عملية اختيار وحدات ملاحظة عند نقاط زمنية مختلفة حيث يختار الباحثون هذه الوحدات بطريقة نظامية من أجل ضمان تمثيل المجتمع الاحصائي ، فقد يقوم الباحث بالملاحظات خلال فترة 15 دقيقة من كل ساعة يتم اختيارها بشكل عشوائي بعد تحويل العينة إلى طبقات ليوم في الأسبوع وساعة في اليوم ، وهناك إجراء آخر مفيد وهو المعاينة الفردية وفي هذه الحالة يختار الباحث فردا واحدا ويسجل جميع أنواع السلوك والأحداث المتعلقة بهذا الفرد ، على سبيل المثال قد يختار الباحث طفلا واحدا ويسجل جميع أحداث الاعتداء الجسدي بين هذا الطفل وأقرانه في المدرسة في فترة محددة من الزمن ، كأن يتم اختيار طفل وملاحظته كل 30 دقيقة حيث يمثل مجموع البيانات المجمعة سلوك جميع الأطفال في الصف.

وعند تطوير تصميم معاينة الزمن ، يتوجب على الباحثين أيضا تطوير نظام ترميزي لتدوين الملاحظات من أجل تحويل الأحداث المستمرة إلى بيانات قابلة للتعبير العددي والكمي لا بد للباحث أن يقوم بتصنيف البيانات وتخصيص رمز لكل فئة من فئات التصنيف ، ويمكن إنشاء مثل هذا النظام الترميزي باتباع المدخل الاستنباطي أو المدخل الاستقرائي ، فعند استخدام المدخل الاستنباطي يبدأ الباحث بالتعريف المفاهيمي ويحدد مؤشرات السلوك تحت

الملاحظة ومن ثم يقوم بمعايرة و إثبات صحة الأداة الناتجة ، أما المدخل الاستقرائي فيتطلب اختيار مؤشرات في المرحلة الأولى من مراحل جمع البيانات وتأجيل إنشاء التعاريف حتي يحدد الباحث الإطار الذي يعمل فيه.

وأما العنصر الثالث الذي لا بد من مراعاته هو **درجة الاستدلال المطلوبة من الملاحظ** ، حيث تستلزم غالبية البيانات المجمعة عن طريق الملاحظة ترجمة معينة من الاستدلال فعندما يلاحظ الباحث سلوكا ما لا بد أن يستدل من خلال الملاحظة ما إذا كان السلوك يشير إلى متغير معين ، فمثلا عند ملاحظة راشدا يضرب طفلا يقتضي الاستدلال هنا تحديد نوعية هذا السلوك هل يمثل عدوانية ، خصومة ، عنف أو أي متغير آخر ، حيث تتوقف صحة مثل هذا الاستدلال على كفاءة وأهلية الباحث إلى درجة كبيرة "[1].

أنواع الملاحظة :

لقد قسّم العلماء الملاحظة إلى عدة أنواع وتصنيفات أهمها:

الملاحظة البسيطة غير المضبوطة : يقوم الباحث فيها بملاحظة الظواهر والأحداث كما تحدث تلقائيا في ظروفها الطبيعية دون إخضاعها للضبط العلمي ، وهذا مفيد في الدراسات الاستطلاعية التي تهدف إلى جمع البيانات عن الظواهر والأحداث لدراستها بعمق.

الملاحظة المنظمة : هي الملاحظة العلمية التي تتم في ظروف مخطط لها ومضبوطة ضبطا علميا دقيقا وتخضع لدرجة عالية من الضبط بالنسبة للملاحظ وتحدد فيه ظروف الملاحظة كالزمان والمكان.

وصنّفت أيضا إلى:

الملاحظة المباشرة : إذ يقوم الباحث بملاحظة سلوك معين من خلال اتّصاله مباشرة بالأشخاص أو الأشياء التي يدرسها.

---

[1] شافا فرانكفورت ، دافيد ناشيماز: مرجع سابق ،صص214-218.

الملاحظة غير المباشرة : إذ يتّصل الباحث بالسجلات والتقارير والمذكرات التي أعدّها الآخرون بغية ملاحظة مضمونها.

وصنّفت على أساس حدودها :

الملاحظة المحدودة :تستخدم عندما يكون لدى الباحث تصور مسبق عن نوع المعاملات التي يريد ملاحظتها ، أو عن نوع السلوك الذي ينوي مراقبته.

الملاحظة غير المحددة : وتستخدم من قبل بعض الباحثين وخاصة عندما يقوم الباحث بدارسة مسحية للتعرف على واقع الظاهرة قيد الدراسة ، أو لجمع البيانات والمعلومات عن ظاهرة ما أو شيء ما.

وصنّفت أيضا :

الملاحظة بدون مشاركة : وتقوم على مجرد ملاحظة الباحث للظاهرة دون أن يشارك في أعمالها ، كأن يحضر الباحث مناقشة لإحدى اللجان البرلمانية فيسمع ويلاحظ ويدوّن ملاحظاته دون أن يشارك في أعمال هذه اللجان.

الملاحظة بالمشاركة : وهي عكس الأولى وتحدث عندما يشارك الباحث في الظاهرة محل الملاحظة ، كأن يلاحظ الباحث ظاهرة التسول من خلال لبس لباسهم ويسكن في أحيائهم ويقوم بممارسة التسول ويعرّض نفسه لما يتعرض له المتسوّلين حتى يتمكن من معرفة كل خفاياهم.

هذه التقنيات الأربع لجمع معطيات أولية، وهي تعتبر تقنيات مباشرة، يقوم فيها الباحثبنفسه بالتعامل مع مصادر البيانات سواء وجها لوجه، أو عن طريق أي وسيلة اتصال متاحة وملائمة .

2- المقابلـــة:

"المقابلة بصورة عامة هي قيام الباحث بزيارة المبحوثين في بيوتهم أو مكان عملهم من أجل الحصول منهم على معلومات يعتقد الباحث أن المبحوثين يتوفرون عليها، وتنتشر حالات

اللجوء إلى أسلوب المقابلة كأداة لجمع البيانات في منهج دراسة الحالة، وكذلك في الدراسات المسحية أحيانا ، وأسلوب المقابلة مهم في جمع المعلومات إذا أحسن الباحث التصرف مع المبحوثين ، حيث يميل كثير من الناس إلى تقديم المعلومات شفويا أكثر من تقديمها كتابة ، وتصبح للمقابلة أهمية أكبر مع الأميين والأطفال"[1].

"والواقع أن مميزات عديدة تنشأ من التفاعل الودي في المقابلة الشخصية لا يمكن الحصول عليها من الاتصال غير الشخصي المحدود ، حيث أن الباحث يقابل المفحوصين وجها لوجه ويساعدهم على التعمق في المشكلة كما يستطيع المقابل عن طريق التعليقات العارضة للمستفتين وتعبيرات الوجه والجسم ونغمة الصوت إلى معلومات قد لاتنقل في الإجابات المكتوبة وتساعد هذه الدلائل السمعية والبصرية الباحث في ضبط إيقاع ونغمة المحادثة الخاصة بحيث سيثير المعلومات الشخصية والسرية ويحصل على معلومات عن الدوافع والاتجاهات والمعتقدات"[2].

وفي العادة تجري المقابلات مع أشخاص على صلة مباشرة بموضوع البحث ، فمثلا عند دراسة جمعية معينة يمكن مقابلة مجموعة من أعضائها.

ومن بين أهم الأمور التي لا بد من مراعاتها في المقابلة هي:

تحديد العينة أي الأشخاص الذين يتطلب إجراء المقابلة معهم ، كما لابد من تحديد وتهيئة الأسئلة التي توجه للمبحوث والتي تكون في إطار موضوع البحث ، إضافة إلى تحديد موعد المقابلة قبل القيام بها ، ويراعي عند اختيار الموعد مناسبته لوقت المبحوث وأن لا يفرض عليه فرضا ، كما لا بد من شرح الغرض من المقابلة للمبحوث ويتم ذلك قبل البدء بها ، وأن يعرف الباحث نفسه ، ويستحسن أن يصحب معه ما يثبت قيامه بالبحث .

كما لا بد من الإشارة إلى أن المقابلة لا يمكن استخدامها مع حجم عينة ذات حجم كبير فالأولى بالباحث عدم تطبيق المقابلة لما يتطلبه من جهد ووقت كبيرين يفوقان قدرة

---

[1] ابراهيم أبراش: مرجع سابق ، ص 265.

[2] علي معمر عبد المؤمن ، مرجع سابق ، ص245.

وإمكانيات الباحث ، كما يجب على الباحث أيضا أن يحرص على نوعية أفراد العينة حيث أنه من المجبذ تطبيق المقابلة على أفراد عينة بمواصفات خاصة فإن كان أفراد العينة ممن يصعب تطبيق أدوات أخرى عليهم فلا مناص من استخدام المقابلة .

والباحث الذي يستخدم هذه الأداة عليه أن يحدد مشكلة بحثه بدقة و يثبت أهدافه ، وإطاره النظري ، وتوضع الأسئلة في إطار هذه المكونات والعناصر وذلك لغرض تغطية موضوع المشكلة في كل أبعاده وجوانبه والتعمق في صياغة الأسئلة والمناقشة بغية الحصول على المزيد من المعلومات الوافية.

ومن أنواع المقابلة :

المقابلة الفردية والتي تجري مع شخص واحد ، والمقابلة الجماعية التي تحدث مع مجموعة من الأشخاص حول نفس الموضوع.

كما تصنف إلى :

المقابلات الرسمية أو المقننة وفيها تعد الأسئلة مسبقا ، والمقابلات غير الرسمية وهي مفتوحة ومرنة ولا تعتمد على طرح أسئلة محددة ، وتعدل الأسئلة بما بتناسب مع الموقف ومع الشخص المفحوص.

3- استمارة الاستبيان:

يعتبر الاستبيان وسيلة يستخدمها القائمون بالبحث في مجال العلوم الاجتماعية بهدف التوصل إلى معلومات أو آراء تفيد في إثبات صحة التساؤلات المطروحة حول مشكلة من المشاكل ، حيث يتضمن مجموعة من الأسئلة تكتب في قائمة استمارة ترسل أو توزع على أفراد المجتمع المطبق عليه البحث للإجابة عليها ، بحيث تكون الأسئلة معدّة بشكل جيد، وغالبا ما يلجأ الباحث لأسلوب الاستبيان لجمع معلومات تتعلق ببيانات لها ارتباط بمشاعر الأفراد ودوافعهم وعقائدهم واتّجاهاتهم نحو موضوع محدد.

ويتحدد نجاح الاستبيان بمدى توفق الباحث في اختيار الأسئلة المناسبة من حيث معناها و أسلوبها ، ذلك أنه كلما كانت أسئلة الاستبيان واضحة ودقيقة ومنصبّة مباشرة على موضوع البحث، ولا تثير أي حساسية لدى المبحوث ، كلّما كانت المعلومات المحصل عليها أكثر أهمية.

ويعتبر السؤال هو الأساس في جميع الاستبيانات ، حيث يجب أن تترجم الاستبانة أهداف البحث إلى أسئلة معينة ، حيث تقدم الإجابات على هذه الأسئلة البيانات اللازمة لاختبار الفروض، لذلك يجب أن يلعب السؤال دورا في تحفيز المستجيب لتقديم المعلومات التي يسعى الباحث للحصول عليها، أما الاعتبارات التي يجب التفكير بها عند تشكيل الأسئلة فهي : المحتوى ، البنية ، الشكل ، التتابع.

ومن بين أهم المحتويات التي لا بد من توفرها في الاستبيان نذكر:

"**أسئلة الحقائق**: حيث تصمم هذه الأسئلة لاستخلاص معلومات من المستجيبين فيما يتعلق بخلفيتهم الثقافية وبيئتهم وعاداتهم وما يشبهها ، والسؤال الأكثر شيوعا من أسئلة الحقائق هو السؤال الخاص بالخلفية الثقافية و الذي يطرح عادة لتقديم معلومات يتم استخدامها لتصنيف المستجيبين ، وتتضمن أسئلة الخلفية الثقافية معلومات تتعلق بالجنس والعمر والوضع الاجتماعي والتعليم والدخل ، حيث تساعد مثل هذه التصنيفات بدورها في تفسير الفروقات في السلوكيات والمواقف ومن أمثلة الأسئلة التي تتعلق بهذا العنصر: ما هو الصف الأخير الذي أتممته في المدرسة؟ المرحلة الابتدائية ، المتوسط ، الثانوية ، الجامعة.

ويقصد من أسئلة الحقائق الأخرى تقديم معلومات حول بيئة المستجيب الاجتماعية (هل يمكن أن تخبرني عن الأشخاص الذين يعيشون معك في المنزل؟) وسائل الانتقال (كيف تذهب عادة إلى العمل؟) أو الأنشطة الترفيهية (كم مرة تشاهد الأفلام؟).

ويعتقد دائما أن أسئلة الحقائق أسهل في التصميم من أنواع الأسئلة الأخرى ، ولكن حتى أسئلة الحقائق يمكن أن تقحم الباحث في بعض المشاكل.

وأما الشكل الثاني من الأسئلة فهي:

الأسئلة حول الخبرات الذاتية : حيث تتضمن اعتقادات المستجيبين ، مواقفهم مشاعرهم ، آرائهم ، حيث تضم المسوحات التي تجري في العلوم الاجتماعية التي تصمم لاستكشاف علاقة الخاصية عادة أسئلة تتعلق بالمواقف أو الاتجاهات التي تدفع الشخص إلى فعل أو ردة فعل معينة عندما يواجه بمنبه معين ، حيث أنه اذا كان السؤال يبحث في المواقف اتجاه الاجهاض مثلا : أرجو أن تخبرني ما إذا كنت تعتقد أو لا تعتقد بضرورة حصول المرأة الحامل على إجهاض قانوني إذا كان هناك احتمال وجود بعض التشوهات في الجنين (نعم ، لا ، لا أعرف ، بدون إجابة) ، حيث يعبر الأفراد عن مواقفهم وقد يكون لدى شخص ما مواقف قوية ضد أو مع الاجهاض"[1].

ويفرض إنشاء أسئلة المسح المتعلقة بالآراء والمواقف إشكاليات أكبر من إنشاء أسئلة المسح المتعلقة بالحقائق ، فمن السهل الحصول على معلومات صحيحة حول ما إذا كان شخص ما متزوج أم عازب ، و لكن لا يستطيع الباحث أن يفترض أن المستجيب يعرف ما يفكر به من ناحية الأسئلة المتعلقة بالآراء والمواقف ، ولذلك لا بد من ضرورة قياس المواقف بأكثر من سؤال كما لا بد أن يستطيع الباحث التحديد بدقة أكبر قوة موقف المستجيب والظروف التي يمكن أن تغير هذا الموقف.

وعليه فإن الإجابات تتأثر على أسئلة الموقف أو الرأي بالتغيرات التي تطرأ على الصياغة والتشديد والتتابع بشكل أكبر من تأثر الاجابات على أسئلة الحقائق .

ومن أنواع الأسئلة في الاستبيان هناك الأسئلة المفتوحة والأسئلة المغلقة :

حيث أنه في **الأسئلة المغلقة** يعرض على المستجيبين مجموعة من الإجابات ويطلب منهم اختيار الإجابة التي تمثل رؤيتهم فعلى سبيل المثال لقياس درجة رضا المستجيب عن الحياة العائلية تم استخدام السؤال المغلق التالي:

---

[1] شافا فرانكفورت ، دافيد ناشمياز: مرجع سابق ، ص ص251-252.

يرجى اختيار الرقم الذي يظهر درجة رضاك عن حياتك العائلية:

1-درجة كبيرة جدا

2-درجة كبيرة

3-بعض الشيء

4-درجة متوسطة

5-قليلا

6-قليلا جدا

ويمكن أن تكون الإجابات على الأسئلة المغلقة أكثر تفصيلا و إحكاما لكونها سهلة الطرح وسريعة الاجابة ولا تتطلب أي نوع من الكتابة من قبل المستجيب أو الباحث ، ويمكن تحليلها مباشرة.

وأما **الأسئلة المفتوحة** لا تتبع بأية خيارات محددة حيث تسجل إجابات المستجيبين بالكامل ، على سبيل المثال : السؤال أي المشاكل برأيك والتي تعتقد أن حكومة الجزائر لا بد أن تهتم بها؟ هو سؤال مفتوح يستخدم باستمرار في الاستبانات التي تصمم لدراسة رأي العامة ، وتكمن الميزة الرئيسية للأسئلة المفتوحة في أنّها لا تجبر المستجيب على التكيف مع إجابات محدّدة مسبقا فحالما يفهم المستجيبون القصد من السؤال فبإمكانهم التعبير عن أفكارهم بحرية وعفوية وبلغتهم الخاصة ، ويتوجب على الباحث أثناء وضعه لهذا النوع من الأسئلة تصميم إطار ترميزي لتصنيف الإجابات المختلفة.

أما التقنيتين المتبقيتين فهما "**تحليل المضمون**" و"**التحليل الإحصائي**"، وهما يستعملان في جمع معطيات ثانوية، ويُعدّان تقنيات غير مباشرة، ففي هذه الحالة يتعامل الباحث مع معطيات جاهزة مسبقا.

ويجب تكييف التقنيات حسب ما يقتضيه موضوع التحقيق، ففي تحقيق عن النواب كان لا بد من معرفة الصورة التي يمنحها هؤلاء لأنفسهم، لتكييف أداة المقابلة حسب موضوع

الدراســــــــــــــة.

ويمكن القول، أن كل تقنية من هذه التقنيات يمكنها أن تستعمل أداة أو أكثر من أدوات لجمع البيانات من مصادرها المحددة، سواء تمثل هذا المصدر في مجتمع البحث بأكمله، أو تم اختيار عينة منه أو من خلال التعامل مع حالات بعينها.

2. تصنيف التقنيات:

تعرض "**مادلين غرافيتز**": عدة محاولات لتصنيف التقنيات، وبعد أن تبين حدودها وعيوبها؛ فهي تقدم محاولة بمقتضاها تصنف التقنيات انطلاقا من عدة اعتبارات.

– منها تصنيفها حسب موضوع البحث: فهناك التقنيات الحية التي تتعامل مع الأفراد الجماعات

– وهناك التقنيات الوثائقية التي تتعامل مع الوثائق.

أما"**موريس أنجرس**" فيصنفها انطلاقا من سبع معايير فمن حيث غياب أو وجود الاتصال مع المبحوث، يكون لدينا تقنيات "**مباشرة**" وأخرى "**غير مباشرة**".

أما من حيث شكل العلاقة مع المبحوث عند وجود الاتصال المباشر بحيث قد نستعمل "**الملاحظة**" أو "**التجربة**" أو "**المقابلة**".

ولكن عندما نكون بصدد تقنيات غير مباشرة فنحن نتعامل مع منتجات أو مواد لأفراد تعذر الاتصال لأسباب البعد أو الوفاة أو غيرهما، فيكون لدينا "**وثائق**" أو "**آثار تاريخية مكتوبة**" أو حتى "**مسموعة**" أو "**مصورة**".

ويمكن أن نصنف حسب مصدر البيانات فقد يكون المصدر "**فردا**" أو "**جماعة**" في حالة التقنيات المباشرة، وفي الحالة الثانية قد يكون " **وثيقة**" أو "**وثائق**".

وهناك التصنيف من حيث "درجة حرية المبحوث"، فإذا كانت الأسئلة مفتوحة كان البحث "**غير موجها**"، وفي حالة وجود أسئلة مغلقة يكون البحث "**مقيدا غير موجه**"، وإذا جمع بين الحالتين كان "**شبه موجه**".

وهناك تصنيف حسب "محتوى الوثيقة"، فقد تكون بياناتها "**كمية**" وقد تكون "**نوعية**" : وفي نفس السياق تصنف حسب المعطيات التي نرغب في جمعها (وهي ليست جاهزة كما في حالة الوثيقة (فإذا كان الهدف إجراء قياسات كانت "**المعطيات كمية**"، وإذا كان الهدف هو تصنيف الظواهر مثلا أو تشخيص خصائصها كانت "**المعطيات كيفية**".

3. التقنيات والمنهج:

يستعرض" **لوبي**" (Loubet)، العلاقة بين المنهج والتقنيات، من خلال حديثه أولا عن علاقتها بالمنهج العلمي بشكل عام، حيث تمثل إجراءات البحث التي تسمح بتجسيد وتحقيق العمليات المختلفة التي تحددها مراحل المنهج، وهو يقصد بذلك خطوات مراحل البحث، وقد قسم مراحل المنهج إلى ثلاث خطوات، تبدأ بالملاحظة المبدئية للوقائع التي بفضلها يختار الباحث موضوعا ما، ومنها تنشأ بعض الافتراضات التفسيرية التي تتحول من خلال الاستنباط إلى فروض ثم تأتي مرحلة التحقق(Vérification)، التي بفضلها يتم تأكيد أو دحض الفرضيات، وفي ضوء ذلك يفسر الواقع فتنشأ القوانين أو النظريات.

فبفضل التقنيات يتم تحقيق الملاحظة الأولى التي تكونت لدى الباحث، وبهذا يلجأ الباحث إلى مختلف التقنيات : «مقابلات، سبر آراء، تحليل المضمون...الخ»، فهو يكيف تقنياته، لتحقيق هذه الأهداف، التي تنتظم حسب المنهج المستعمل في الدراسة .

أي أن المنهج المتبع (أو المناهج المتبعة) في دراسة ما يمثل خطوة فكرية عامة تنسق بين جملة من العمليات التقنية بهدف واسع هو تفسير الظواهر الاجتماعية، فتصبح التقنيات بذلك أدوات للبحث تحت خدمة إستراتيجية عامة محددة من طرف المنهج .

هذا، وتبدأ "مادلين غرافيتز": تحليلها للعلاقة بين المنهج والتقنية بالقول بأن كل بحث لا بد له من استعمال جملة من التقنيات ليصل إلى هدفه، وهي ترى أن هذه التقنيات تتحدد وفق الموضوع قيد الدراسة،والذي يرتبط بدوره بالمنهج.

ثم توضح أن هذا التداخل بين المفهومين أدى إلى نشوء غموض والتباس، وتحاول

إزاحة ذلك بقولها بأن كليهما يجيب عن سؤال واحد هو: كيف؟ .كيف نصل إلى الهدف؟. غير أن التقنيات تقع –بالتحديد– في مستوى التعامل المباشر مع الوقائع.

فهي تمثل إجراءات ملموسة ترتبط بالواقع المدروس مباشرة، ولكن المنهج مفهوم فكري تصوري فهو ينظم مجموعة من العمليات، وبشكل مجموعة تقنيات، فالتقنيات هي أدوات في خدمة البحث يقوم بتنظيمها المنهج.

وتنتهي الباحثة العالمة إلى تأكيد مدى حاجة الواحد منهما للثاني، وتضرب مثالا بالصياد، حيث يكون منهجه ناجحا بقدر ما يحصل على عدد كبير من الفرائس، فإذا كان فقط راميا بارعا تدرب على ذلك في القاعات والملاعب ولكنه لا يمتلك منهجا جيدا، أي لا يمتلك إستراتيجية صيد يعرف من خلالها نفسية الفريسة وعاداتها، ونفسية كلب الصيد والأوقات الملائمة لذلك، فإنه لن ينجح، لأن امتلاك التقنية لا ينفع مع غياب المنهج. والعكس صحيح فإن غياب التقنية الجيدة سيجعله يعود بخفي حُنين.

تتعلم المجتمعات معرفة نفسها معرفة سوسيولوجية حينما تتعرف ذاتها بمثابة نتاج شغلها وعلائقها الاجتماعية، وحينما نقر بأن ما يبدو أول الأمر مجموعة معطيات اجتماعية إن هو إلا نتيجة عمل اجتماعي وقرارات أو مساوما أو سيطرة أو صراعات، ولذلك فان زماننا الموجه صوب التنمية إنما يصنع السوسيولوجيا شيئا فشيئا[1] .

فعالم الاجتماع لا يدرس وقائع بل وثائق، ولكي لا يقع سجين واقع يظن انه يلاحظه من الخارج فيما يؤلف جزء منه، نراه بحاجة إلى التزام تقشف فكري يقوده إلى أن يكشف خلف تنظيم المجتمع وحديثه الصلات الاجتماعية، وهل يمكنه أن يظل غريبا عن سوسيولوجية غرضها الرئيسي إدراك كيف يصنع البشر تاريخهم عن طريق شغلهم وصلاتهم الاجتماعية. وإنما يجيب عالم الاجتماع أفضل إجابة عن تساؤلات الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم حينما يفكر في مجال معرفة الخاص، لان مهمته تعرية السبل والصلات الاجتماعية وذلك بتحرره من

[1] ألان تورين، **إنتاج المجتمع**، تر: الياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976، ص5.

جميع وجوه الرقابة الاجتماعية والاديولوجية التي تحتمي خلفها السلطة والنظام القائمان والتي يتخذان منها مبررا[1].

فكيف يستطيع عالم الاجتماع بان ما يكتبه غير ذي بال أو عديم الأثر إزاء السؤال الكبير الذي يسود حاضرنا: من هم الآن وفي الغد الفاعلون وما هي الأرضيات وأثمان المعارك الاجتماعية وما عسى تكون هذه المجتمعات التي تمتد فيها السلطة لتغطي أوجه النشاط الجماعي بأسره[2].

إن ضعف موقف عالم الاجتماع هو انه ينظر إلى مجتمعه الخاص، وليس خاضع لمقابلة مع ثقافة و مجتمع مختلفين عن مجتمعه وثقافته، أما الذين يدعون بأنهم مثقفون مستقلون فإنهم لا يقومون...ولا يعمل عالم الاجتماع بخلاف الحركات الاجتماعية التي يدرسها انه يعمل بانتظام لكي يقاوم السيطرة الاجتماعية والثقافية لكي تكون معرفة المجتمع ممكنة.

المحور الثامن: علم الاجتماع والممارسة السوسيولوجية في الجامعة الجزائرية

أولا: واقع الممارسة السوسيولوجية في الجامعة الجزائرية

في إطار العلاقة بين نسق الجامعة والمحيط الاجتماعي الذي تتواجد فيه وتتفاعل معه، تتمثل الجامعة كبنية معرفية – إن هي كذلك فعلا- في ظل التحولات الجذرية والمتسارعة التي يعيشها المجتمع الجزائري لا سيما في جانبها السياسي والاديولوجي متأثرة بالنزعة التعبيرية من طرف القاعدة المجتمعية الواسعة، وضغوطاتها الاجتماعية التي نشاهدها في الوقت الحالي، فقد عرفت الجامعة الجزائرية تغيرات عميقة منذ نشأتها، ولعل ما سوف نركز عليه في هذا الطرح هو حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية بصفة عامة ثم فرع علم الاجتماع على الخصوص.

لقد عرف التدريس في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية تقلبات عديدة طبعت مسيرتها منذ (1962)، مع ميلاد الدولة الجزائرية المستقلة. فإذا حصل الاتفاق على أن

[1] نفس المرجع ، ص16.15.
[2] نفس المرجع، ص18.

وظيفة الجامعة الأولى هي نشر وإنتاج المعرفة، فإن هذه الوظيفة قد اصطدمت بالواقع الاجتماعي، وعرفت في مجال العلوم الاجتماعية ضغطا اجتماعيا وسياسيا، من خلال تدخل النسق السياسي الذي حال غالبا دون احترام المقاييس العلمية في إنتاج المعرفة، إذ تمثل في البداية كل الاهتمام إلى تحقيق مبادئ عادة ما كانت توصف بالسمو والقداسة تمثلت أساسا في "الجزأرة"، والتعريب وديموقراطية التعليم، دون احترام قواعدها أو الآثار التي يمكن أن تتمخض عنها:

- فلم يعد النشاط البحثي الخاص بكل أستاذ قاعدة للتقييم والاعتراف بالكفاءة سواء داخل النسق الجامعي أو خارجه، ومنها التخلي عن الكفاءة الخارجية لتترك فراغا ملحوظا لتجسيد ما يسمى بالسوسيولوجيا الوطنية[1].
- وتجلت انعكاسات التعريب أساسا على بعدين:

الأول: اعتبار علم الاجتماع علما رياديا أوكلت له مهمة استرجاع عناصر الهوية الوطنية، والثقافة العربية الإسلامية، وهذا ما أطر دور عالم الاجتماع باعتباره على هذا الأساس؟. مناضلا قياديا يشرف على توظيف معرفته لخدمة مشاريع التنمية التي يتطلع إليها المجتمع، من اجل بناء مشروعه الحضاري.

الثاني: فتجلى في ترجمة الأبحاث من لغتها الأصلية سواء الفرنسية أو الانجليزية، دون التحري بالحذر بالتعامل مع المفاهيم وارتباطاتها النظرية، ومن ثمة انعكاساتها على الممارسة العلمية وعلى الإبداع الفكري خصوصا إذ أن أغلب الطلبة الملتحقين بعلم الاجتماع هم من المعربين الذين يجدون صعوبة في التعامل مع المراجع الأصلية المكتوبة بالغات الأجنبية، ومنه يمكن أن نفهم أن الممارسة السوسيولوجية ركزت على فكرة الأصالة من خلال فرض الذات العربية على ما هو معرفة غربية منقولة أدت إلى محدودية فعالية المعرفة السوسيولوجية، وإلى ما

[1] نورة قنينة، نفس المرجع السابق،ص199 .

يسمي بمعرفة خاصة، بلغة خاصة، وبثقافة خاصة، وهي في الواقع ليست معرفة منتجة بل مقولبة إذا جاز لنا ذلك[1].

- نشر مؤسسات التعليم العالي عبر كامل التراب الوطني مع عدم توفر الإمكانيات المادية للجامعات –خاصة في المرحلة الأولى– لتتحمل تبعات ديمقراطية التعليم ومجانيته على حساب نوعيته وجودته، مما انعكس على علم الاجتماع من خلال: ضعف الاحتكاك بين الطلبة، أشكال تكوين طلبة علم الاجتماع وما يتطلبه سوق العمل، إذ نجد مخرجات قسم علم الاجتماع بدأ يتراجع الطلب عليها من طرف سوق العمل، وخاصة في الوقت الراهن[2].

ويلمس صاحب النظرة النقدية الفاحصة والممحصة، للممارسة السوسيولوجية في الجزائر: وجود نوع من السطحية في التفكير السوسيولوجي، حيث بدأت مع بعض المدارس وظهر علم الاجتماع كعلم قائم بذاته، ثم سرعان ما وقع في حيرة أمام الظواهر الاجتماعية المتهاطلة التي أفرزها الواقع الاجتماعي، وتزعزعت المعرفة السوسيولوجية مع انهيار الاشتراكية وظهرت البرجوازية على أنقاض انتكاسة علم الاجتماع، لتعود الممارسة السوسيولوجية إلى التساؤل الذي انطلقت منه في البداية حول: ما هو علم الاجتماع؟. وماذا يدرس؟...الخ[3].

وظهرت مدارس جديدة لتعيد النظر حتى في تعريف علم الاجتماع، وموضوعه؟، وحصل الخلاف حول موضوع هذا العلم، ولم يحصل الاتفاق حتى على المنهج، لذلك يقال أن علم الاجتماع "كثير المناهج قليل النتائج"، وجسدت الممارسة السوسيولوجية من خلال المدارس التي ظهرت مع الرأسمالية الجديدة خدمة النظام القائم، فاعتقدت الوظيفية أن كل ما هو موجود في المجتمع لديه وظيفة ضرورية. بينها اعتبرت الماركسية أكثر مصداقية لأنها ثارت

---

(1) نفس المرجع ، ص200.

(2) العياشي عنصر، **أي غد لعلم الاجتماع "نحو علم الاجتماع نقدي"**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص64.

(3) نورة قنينة، مرجع سابق،ص202.

ضد النظام القائم واعتبرته من خلال تحليلاتها وممارساتها السوسيولوجية متنبأة له بأنه يحمل بذور فنائه، واقترحت النظام الاشتراكي كبديل لا مفر منه[1].

وجاءت الممارسة السوسيولوجية في الأبحاث على مستوى الجامعة الجزائرية أكثر تشوها من المنحى العالمي لمسار السوسيولوجيا، حيث اتجهت الدراسات والأبحاث غالبا إلى تبرير الأوضاع القائمة وعقلنتها على حساب تقهقر الفكر النقدي الذي يعتبر كفيل بكشف الرهانات والمصالح المعلنة والخفية داخل الأنساق الاجتماعية، وفي علاقاتها التفاعلية بالمجموعات الاجتماعية المسيطرة[2].

(1) عبد الرحمان بوزيدة، **محاضرات في مقياس المنهجية المعمقة**، السنة الأولى مدرسة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية 2010/2009، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
(2) العياشي عنصر، مرجع سابق، ص25.

خاتمة:

ما هو إذن حقل السوسيولوجي؟ انه ليس معطى دفعة واحدة إنما يتكون تدريجيا، في اتصاله بالفروع العلمية الأخرى: إذ لم يكن علم الاجتماع يبحث عن صياغة قوانين ذات مغزى كوني بقدر ما يسعى إلى إنتاج معرفة مبينة منهجيا على الملاحظة الصارمة للواقع الاجتماعي فهو لا يضع نظرية إلا بتأييد مادة امبيريقية قادرة على إضفاء الصلاحية والشرعية على قضاياه. ويجب عليه أيضا أن يحذر من إدراج أحكامه على القيمة في بحثه وان يسهر على بناء موضوع دراسته بالتحرر من بعض الرؤى التي تفرض نفسها تلقائيا على الذهن والتي غالبا ما يتبين في الأخير أنها خادعة أو مغالطة.

المـــراجـــــــع

I. المراجع باللغة العربية

1. احمد زايد، **علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية**، القاهرة: دار المعارف، 2005.
2. احمد سليمان أبو زيد، **نظرية علم الاجتماع (رؤية نقدية راديكالية)**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2006.
3. ادغار موران، **العقل والعقلانية**، دفاتر فلسفية- نصوص مختارة، إعداد وترجمة: محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، المغرب: دار طوبقال للنشر، ط2، 2007.
4. ألان تورين، **إنتاج المجتمع**، ترجمة: الياس بديوي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1976.
5. ألان تورين، **نقد الحداثة**، ترجمة: أنور مغيث، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 1997.
6. ايمانويل فارلشتاين، **تراث علم الاجتماع ووعد العلوم الاجتماعية**، ترجمة: محمود الذوادي، مجلة إضافات، العدد 04/03، 2008.
7. جورج غورفيدش، **الأطر الاجتماعية للمعرفة**، تر: خليل أحمد خليل،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1981.
8. جون سكوت، **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، ترجمة: محمد عثمان، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط2، 2013.
9. جهاد علي السعايدة، دراسة تحليلية نقدية للمآخذ على فكر ابن خلدون، مجلة جامعة دمشق المجلد 30 العدد 3-4، 2014.
10. حسين عبد الحميد احمد رشوان، **نظرية المعرفة والمجتمع "دراسة في علم الاجتماع المعرفة"**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008، ص5-6.
11. حسين عبد الحميد رشوان، **ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي**، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ط1، 2004.

12.خليل أحمد خليل، **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**، دار الحداثة للنشر والتوزيع، بيروت، 1984.
13.طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد المجيد الزيات، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د ت.
14.عبد الباسط محمد حسن: **أصول البحث الاجتماعي**، الطبعة الحادية عشر، مكتبة وهبة، القاهرة، 1990.
15.عبد الرحمان بوزيدة، **محاضرات في مقياس المنهجية المعمقة**، السنة الأولى مدرسة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية 2010/2009، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
16.عبد الفتاح إبراهيم، **علم الاجتماع والماركسية**، بيروت: دار الطليعة، ط1، 1980.
17.عبد القادر بشتة، **الابستمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1990.
18.علي الحوات، **مبادئ علم الاجتماع** ، ليبيا: منشورات الجامعة المفتوحة، 1990.
19.علي شتا، **المنهج العلمي والعلوم الاجتماعية**، مصر: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية،1997.
20.علي عبد الرزاق جلبي، **الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005.
21.علي ليلة، **روبرت ميرتون والتجديد داخل البنائية الوظيفية**، الإسكندرية: المكتبة المصرية، 2006.
22.العياشي عنصر، **أي غد لعلم الاجتماع "نحو علم الاجتماع نقدي"**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994.
23.غاستون باشلار، **الفكر العلمي الجديد**، تر: عادل العوا، مراجعة عبد الله عبد الدايم، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي،1969، ص93.
24.ف ج رايت، **مبادئ علم الاجتماع**، ترجمة: محمد شيا، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1997.

25.فهمي سليم الغزوي وآخرون، **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1992.

26.فيليب برو، **علم الاجتماع السياسي**، ترجمة: محمد عرب صافيلا، لبنان: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 1998.

27.فيليب جونز، **النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية**، ترجمة: محمد ياسر الخواجة، مصر: دار مصر العربية للنشر والتوزيع، 2010.

28.فيليب كابان، جان فرانسوا دورتيه، **علم الاجتماع من الشؤون الكبرى إلى الحياة اليومية أعلام وتواريخ وتيارات**، ترجمة: إلياس حسن، دار الفرقد، 2010.

29.محمد الجوهري، **المدخل إلى علم الاجتماع**، القاهرة، 2007.

30. محمد علي محمد، **تاريخ علم الاجتماع**، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1986.

31. محمد نور الدين افاية، **الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة**، المغرب: إفريقيا الشرق، ط2، 1998.

32. مصطفى الشكعة، **الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته**، مصر: الدار المصرية اللبنانية، ط3، 1992.

33. مصطفى بوجلال، **علم الاجتماع المعاصر بين الاتجاهات والنظريات**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2015.

34. مصطفى خلف عبد الجواد، **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، عمان: دار المسيرة، ط1، 2009.

35. معن خليل معن، **نظريات معاصرة في علم الاجتماع**، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005.

36. مليحة عوني القصير، معن خليل عمر، **المدخل إلى علم الاجتماع**، العراق: مطبعة جامعة بغداد،1981.

37. يمنى طريف الخولي، **مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلها**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1996، ص25.

38. يورغن هابرماس، **المعرفة والمصلحة**، تر: حسن صقر، مراجعة: إبراهيم الحيدري، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2001.

39. يونل تايمز، **علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية**، ترجمه: غريب السيد احمد، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1997.

II. المراجع باللغة الأجنبية

1. B.Bordiou,et allia, **Le mité de Sociologue**: bordas, paris, 1968.
2. Marcuse H ; **Philosophie et Révolution**, Paris ; Ed, Denoël, 1969.
3. Maurice Angers: **Initiation pratique a la méthodologie des sciences humaines**, Ed Casbah, Alger, 1997.
4. Philippe Bernoux, le changement dans organisations (entre structures et interactions), RI-IR, 2002, vol. 57, n 1_ISSN 0034-379X.
5. Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron**; La reproduction**, eléments pour une théorie du système d'enseignement, édition de minuit,1980.
6. Raymond Boudon et Bourricaud, dictionnaire critique de la sociologie, PUF; 1982.